تصـورات الشبـاب التونسـي حـول العـودة إلـى الحكـم الاستبـدادي:
تراجـع دعـم الديمقراطيـة

نادية الجمل
ملاك الأكحل

بالشراكة مع

عن الكاتبتين

نادية الجمل هي باحثة مساعدة في مبادرة الإصلاح العربي. قبل انضمامها إلى المبادرة، كانت نادية مسؤولة برامج في المركز الدولي للعدالة الانتقالية (ICTJ) ومتدربة في مجلس مركز الشمال والجنوب في أوروبا (NSC)، وهي حاصلة على درجة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي والحضارات المعاصرة وماجستير في الدراسات عبر الثقافات من جامعة قرطاج.

ملاك الأكحل باحثة وصحافية تونسية. تركّز أبحاثها على المواطنة والحركات الاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني والنسوية. قبل الانضمام إلى مبادرة الإصلاح العربي، عملت ملاك كصحافية متعاقدة بموقع "نواة" المستقل كما عملت كمساعدة باحث في مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي. وهي حاصلة على درجة الماجستير في العلوم السياسية من معهد الدراسات السياسية (سيونس بو) بباريس.

© 2024 مبادرة الإصلاح العربي | جميع الحقوق محفوظة.

يسمح هذا الترخيص للقائمين بإعادة الاستخدام بتوزيع المواد وإعادة دمجها وتكييفها والبناء عليها بأي وسيط أو تنسيق لأغراض غير تجارية فقط، وطالما يتم الإسناد إلى المنشئ. إذا قمت بإعادة مزج المواد أو تكييفها أو البناء عليها، فيجب عليك ترخيص المواد المعدلة بموجب شروط مماثلة.

صورة الغلاف تم إنشاؤها بواسطة الذكاء الاصطناعي باستخدام Canva.

نيسان/أبريل 2024

المحتويات

ملخص تنفيذي	4
مُقدمة	5
تأهيل الشباب للمشاركة السياسية والتعبئة	6
تحديد مفهوم تأثير أوجه عدم المساواة على الآراء السياسية	8
المنهجية	9
التصورات حول الذات والمجتمع والجيل	12
القيم والأولويات السياسية للشباب	16
ربط التجربة اليومية بالسياسة: التوقعات المرجوة من خدمات الدولة وتقييمها	21
مسارات الشباب ورغبتهم في الانتقال إلى مكان آخر: كيف يتصور الشباب مستقبلهم	24
الاستنتاجات	26

ملخص تنفيذي

تعرض التحوّل الديمقراطي في تونس للوأد بسبب الانقلاب الذي قاده قيس سعيّد في 25 تموز/يوليو 2021، وما أعقب ذلك من تدمير النظام المؤسسي الذي أُنشئ منذ الثورة. فبعد عقد من العيش في ظل نظام ديمقراطي والتعرف على الديمقراطية من الناحية النظرية والتطبيقية، كيف يتصور الشباب والشابات تطور مؤسساتهم/ن السياسية وإجراءاتها في سياق عملية الاستبداد؟

للإجابة على هذا السؤال، قامت مبادرة الإصلاح العربي، بالتعاون مع المنظمات الشريكة لها؛ جمعية «جيل ضد التهميش» ومنظمة «WeStart»، بإجراء سلسلة تتألف من ست مناقشات مجموعات التركيز مع الشباب والشابات الذين تتراوح أعمارهم/ن بين 18 و35 عاماً في عام 2023. وقد نُظمت مجموعات التركيز، التي ضمت 41 مشارك ومشاركة، في موقعين مختلفين هما القيروان والكبارية. وسعت مناقشات مجموعات التركيز إلى الاستماع إلى آراء المشاركين والمشاركات حول كيفية رؤيتهم/ن للتغيرات السياسية منذ تموز/يوليو 2021، وما هي أولوياتهم/ن الرئيسية، وما يرون أنه المسار الحاسم من أجل المشاركة الشاملة وتحقيق مزيد من العدالة الاجتماعية.

الشباب في الحياة العامة اليوم: الفتور السياسي لا يزال قائماً. بعد مرور عامين على انقلاب سعيّد، لا تزال الدولة تعاني من صعوبات في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والأمن والأمان. في غضون ذلك، يصر سعيّد على تدمير ما حققه التحول الديمقراطي من إنجازات. يُنظر إلى الوضع الحالي على أنه خيبة أمل نسبية للشباب والشابات التونسيون الذين دعموا/ن سعيّد منذ عام 2019، ووضعوا ثقتهم/ن في خطاباته المناهضة للمؤسسة والداعية إلى تمكين الشباب. وبات غياب التغيير المقترن بالعودة إلى التوجهات الاستبدادية ينعكس في تنامي خيبة الأمل بين الشباب والشابات من رؤية سعيّد والمجال السياسي بشكل عام.

تحول القيم والتوقعات من المصلحة الجماعية إلى المصلحة الفردية. ينظر الشباب والشابات إلى القيم مثل الوعي والمسؤولية بوصفها قيماً ضروريةً في المجال العام التونسي. بيد أنهم/ن طرحوا/ن هذه القيم من منطلق التركيز الفردي، بدلاً من التركيز الجماعي: إذ تكمن المشكلة في قلة الوعي والمسؤولية، فضلاً عن أن كل فرد يتعين عليه أن يكون مواطناً واعياً ومسؤولاً، ومن خلال تضافر جهود الجميع سيتحقق التغيير. يتجلى هذا الأمر في تزايد شكوك الشباب والشابات تجاه فكرة إيجاد بدائل وحلول جماعية للمأزق الراهن: إذ إن المجال الجماعي غير مستقر للغاية، ولا يمكن التنبؤ به إلى درجة لا تسمح باستثمار القيم والوقت والجهد فيه، في حين لا يزال من الممكن الاستثمار في الفرد وتحديده وتقييمه. وبعبارة أخرى، يوضح هذا التصور الفردي مدى انغلاق المجال السياسي، الذي لم يعد مجالاً لاستثمار القيم. والآن، بات تضافر الجهود الفردية هو السبيل للخروج من الأزمة المتعددة الأبعاد في تونس.

تصور الأحداث الأخيرة: في البداية، كان الشباب والشابات ينظرون إلى انقلاب قيس سعيّد على أنه بداية جديدة لتونس، ولكن ليس بعد الآن. مع مرور الوقت، تضاءلت شعبية سعيّد بينهم/ن، إذ ظلت دعواتهم/ن من أجل «الحرية والعدالة والكرامة» دون تحقيق. ولم يروا تغيراً ملموساً في المجالات التي رأوه قادراً على إحداث تغيير فيها، لا سيما في السياسة والاقتصاد والنظام القضائي. بدلاً من ذلك، شهدوا وجود المشاكل نفسها التي انتقدوها خلال التحول الديمقراطي: غياب الرؤية والإيثار الواضح للتغيير المؤسسي بدلاً من التغيير الاقتصادي. بيد أنه، في الوقت الذي يتضاءل فيه الدعم، فإن غياب البدائل التي تلبي مطالبهم/ن يخلق فراغاً يواصل سعيّد شغله من خلال إعطاء الأمل بأن المطالب الخاصة بإضفاء طابع أخلاقي على السياسة يُستجاب لها عن طريق تحركاته الاستبدادية تجاه المعارضين.

تصور العقد الماضي: على الرغم من انتهاكاته، يتنامى الشعور بالحنين إلى نظام بن علي بين جيل الألفية والجيل زد. فمن ناحية، يمثل هذا الحنين إلى الماضي نظرة مثالية تجسد التوق إلى قيم تبدو غائبة عن واقعهم الراهن، مثل المكانة الدولية والاستقرار الاقتصادي والأمن. ومن ناحية أخرى، لا تزال صورة النظام السابق في ذاكرتهم الشخصية والجماعية مختلطة وغامضة نظراً إلى أن الكثيرين منهم يدركون مدى العنف الذي اتسم به النظام.

التصورات حول التنمية والخدمات العامة: الخدمات العامة «خارج الخدمة» بينما تبدو التنمية متعثرة. في قطاعات مثل الرعاية الصحية والنقل والتعليم، ثمة إجماع بين الشباب والشابات على أن جودة الخدمات متردية في العاصمة، وعلى نحو أكثر خطورة في المناطق الأخرى من البلاد. ولا تخلو أوجه القصور في الخدمات العامة من آثار على رفاهية الشباب والشابات الذين لا يستطيعون القيام بالمهام اليومية الأساسية بسبب حالة هذه الخدمات، مما يؤدي إلى حالة من العجز واليأس. ونظراً إلى أن أفق التنمية في البلاد لا تزال في حالة من الجمود، فإن الهجرة هي أحد الخيارات القليلة المتبقية أمام الشباب والشابات الذين يسعون إلى تحسين ظروفهم/ن المعيشية.

مُقدمة

في عام 2021، نفذت مبادرة الإصلاح العربي مشروعاً بحثياً كبيراً يسعى إلى فهم علاقة الشباب والشابات التونسيون بالتحول الديمقراطي: كيف تم تنشئتهم/ن اجتماعياً في ظل الديمقراطية، وكيف يفهمون الديمقراطية وما هي قيمتها في حياتهم/ن، وكيف يقيمون مؤسساتهم/ن الديمقراطية الجديدة وممثليهم/ن. وقد أسفر هذا البحث عن نشر تقرير بعنوان «المفاهيم السياسية لدى الشباب في تونس فيما بعد عام 2011: التعهدات المقطوعة للأجيال الألفية وزد». في هذه المرحلة الأولى، التي تمت في النصف الأول من عام 2021، أي قبل بضعة أشهر من الانقلاب، استعرضنا فهم الشباب والشابات للمبادئ الديمقراطية، وآرائهم/ن حول السياسة وقيمهم/ن. وقد تمثلت فرضيتنا الرئيسية في أن الشباب والشابات ليسوا مجموعة متجانسة نظراً إلى أن الاختلاف بين الأجيال أمر مهم في السياق التونسي: فقد «قام» جيل الألفية (الجيل واي) بالثورة، بينما نشأ الجيل زد ليصبحوا بالغين خلال التحول الديمقراطي. وهذا يعني أن جيل الألفية قد نشأ اجتماعياً في ظل الديمقراطية بطريقة غير رسمية وتتسم بطابع نضالي على نحو أكثر من الجيل زد الذي نشأ في ظل سياق حازت فيه الديمقراطية على تأييد علني بوصفها جزء أساسي من مستقبل تونس. وتمثلت فرضيتنا في أن هذا الاختلاف في التنشئة الاجتماعية الديمقراطية سينعكس في مفاهيم مختلفة للديمقراطية والحياة السياسية والقيم السياسية، وما إلى ذلك.

بيد أن النتائج الأولية التي توصلنا إليها أظهرت أن الشباب والشابات، بغض النظر عن أعمارهم/ن، كانوا متشابهين للغاية فيما يتعلق بالقيم ذات الأهمية بالنسبة لهم/ن، وكيف ينظرون إلى السياق السياسي. فبغض النظر عن العمر، فقد اتفقوا على أن إضفاء الطابع الأخلاقي على النظام السياسي يمثل أولوية، ومن ثَمَ شاركوا قيس سعيّد في رفض الطبقة السياسية وبخاصة البرلمان. إلا أن هذا الرفض للبرلمان والأحزاب لم يكن يعني ضمناً رفض النظام الديمقراطي في حد ذاته، والذي كان يُنظر إليه على أنه تطور إيجابي للبلاد.

علاوة على ذلك، عندما يتعلق الأمر بتعريف أنفسهم/ن، وجدنا أن الشباب والشابات من كل جيل لم يشعروا بوجود فجوة كبيرة مع الأشخاص من الجيل الآخر، لكنهم أوضحوا أنهم لا يشعرون بأنهم/ن ممثلون/ات من قبل بعض الشباب والشابات، وخاصة أولئك الذين ينتمون إلى المناطق الحضرية، سواء من الطبقات المتوسطة أم الغنية أم من الخلفيات الأكثر شعبية. أظهرت لنا هذه الجهود لتمييز أنفسهم/ن عن الشباب والشابات الآخرين/يات أن «الشباب» كفئة شاملة لا تراعي بإنصاف الطريقة التي يرى بها الشباب والشابات أنفسهم/ن، وأننا بحاجة إلى تقسيم هذه الفئة، تماماً كما يبذلون جهوداً لتمييز أنفسهم/ن عن أقرانهم/ن.

منذ نهاية هذه المرحلة الأولى، شهدت البلاد تغييرات جذرية. فقد تعرض التحول الديمقراطي للوأد من خلال الانقلاب الذي قاده قيس سعيّد في 25 تموز/يوليو 2021. ومع هذا الانقلاب، تعرض النظام المؤسسي الذي أنشئ منذ الثورة بأكمله للتدمير تدريجياً. هذه المرحلة الجديدة دفعتنا إلى التساؤل حول كيفية تطور تصورات الشباب للمؤسسات السياسية في مواجهة الاستبداد الحالي، بعد عقد من العيش في ظل نظام ديمقراطي.

للإجابة على هذا السؤال، قامت مبادرة الإصلاح العربي، بالتعاون مع المنظمات الشريكة لها؛ جمعية «جيل ضد التهميش» ومنظمة «WeStart»، بإجراء سلسلة تتألف من ست مناقشات مجموعات التركيز مع الشباب والشابات الذين تتراوح أعمارهم/ن بين 18 و35 عاماً في عام 2023. وقد نُظمت مجموعات التركيز، التي ضمت 41 مشاركا ومشاركة وعكست المساواة بين الجنسين، في أربعة مواقع مختلفة: مدينة القيروان، والشبيكة، وحاجب العيون، والكبارية. وسعت مناقشات مجموعات التركيز إلى الاستماع إلى آراء المشاركين والمشاركات حول كيفية رؤيتهم/ن للتغيرات السياسية منذ تموز/يوليو 2021، وما هي أولوياتهم/ن الرئيسية، وما يرون أنه المسار الحاسم من أجل المشاركة الشاملة وتحقيق مزيد من العدالة الاجتماعية.

تركز منهجية هذا البحث على عدم تجانس الشباب والشابات، وكيف يؤثر موقعهم/ن في مناطق جغرافية تتسم بعدم المساواة والتهميش التاريخي والوصم الاجتماعي على مواقفهم/ن السياسية وسلوكياتهم/ن وقيمهم/ن. وإلى أي مدى تؤثر أوجه عدم المساواة بين الشباب والشابات الناتجة عن الأنماط الجغرافية للظلم الاجتماعي على تعريفهم/ن لذواتهم/ن، وتصوراتهم/ن للمجال العام والمشهد السياسي، ووجهات نظرهم/ن أو آرائهم/ن حول السياسة وعملية التحول. وعلى نحو مماثل، سعت منهجية البحث إلى تقييم مدى تأثير الاختلافات بين الأجيال الوسيطة بين الشباب على الاختلافات في التصورات والمفاهيم. ولتحقيق هذه الغاية، قررنا الجمع بين الأعمار ضمن مجموعات التركيز نفسها من أجل سماع الاختلافات بينها بشكل مباشر وتحليل ردود الفعل التي تثيرها هذه الاختلافات بين الجيلين اللذين ندرسهما، جيل الألفية (الجيل واي) والجيل زد. وقد ثبتت جدوى ذلك بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بمسائل الذاكرة.

ومن منطلق التأصيل للبحث، كان المشاركون والمشاركات في البحث الذين تم اختيارهم/ن من ولاية القيروان هم/ن تقريباً أولئك الذين جرت معهم/ن المقابلات عام 2021، من أجل قياس تطور مواقفهم/ن في هذا السياق المتغير بشدة. وطرحنا أسئلة مماثلة لتلك التي أجابوا عنها في المرحلة الأولى للبحث، ولكننا أضفنا أيضاً أسئلة جديدة حول كيفية رؤيتهم/ن لأنفسهم/ن كشباب وشابات، ليس فقط من حيث الجيل (التمييز بين الجيل زد وجيل الألفية)، ولكن أيضاً من حيث الموقع الجغرافي. على سبيل المثال، سألنا الشباب والشابات كيف رأوا أنفسهم/ن كأفراد في مدينتهم/ن أو منطقتهم/ن، وكيف رأوا أنفسهم/ن كمجموعة، أي بوصفهم «شباب (المدينة أو المنطقة التي كنا فيه)»، وكيف يعتقدون أنهم/ن يُنظر إليهم/ن من قبل بقية المحافظة وبقية البلاد.

وأجرينا أيضاً جزءاً من بحثنا في إحدى ضواحي العاصمة التي تسكنها الطبقة العاملة. في الواقع، أظهر بحثنا الأولي في عام 2021 أن الشباب الذين أجرينا مقابلات معهم من المناطق الداخلية لا يرون أنفسهم/ن جزءاً من شباب وشابات المدن الكبرى، ولا حتى جزءاً من شباب وشابات الضواحي التي تقطنها الطبقة العاملة. أدى هذا الافتقار إلى التماسك داخل الفئة العمرية نفسها والجهود التي يبذلها هؤلاء الشباب والشابات لتمييز أنفسهم/ن عن هؤلاء الشباب والشابات «الآخرين»، الذين ينظرون إليهم/ن على أنهم خارجين عن القانون أو عنيفين، إلى التساؤل حول واقعية النظر إلى هذه الفئة من «الشباب» بوصفها كتلة واحدة. لقد أدركنا أن الجهود التي يبذلها

الشباب والشابات لتمييز أنفسهم/ن عن الشباب والشابات الآخرين يجب أن تنعكس إلى نهج أكثر تجزئة من جانبنا. وهنا نتذكر تعليقاً أدلت به عضوة سابقة في البرلمان خلال حوارنا بشأن السياسات حول مشاركة الشباب في السياسة: «لماذا عندما يتعلق الأمر بالمرأة والشباب، تعتقد الجهات الفاعلة التي تروج لمشاركتها أو تحالفها داخل المجموعة أن هوياتهم/ن السياسية يمكن محوها بالانتماء إلى جنس أو فئة عمرية معينة؟» فقد كانت تتحدث عن جلسات التواصل وبناء الفريق التي تمولها الجهات المانحة الأجنبية التي تتم فيها دعوة النواب الشباب أو الإناث من أحزاب سياسية مختلفة للالتقاء والتواصل، ولكن يمكن تطبيق الفكرة نفسها على دراسة الشباب والشابات: لماذا يجب أن يعني الانتماء إلى الفئة العمرية نفسها تبني وجهات نظر سياسية مماثلة؟

في هذا التقرير، نأخذ في الاعتبار الجهد المبذول للتمييز الذي لاحظناه ونُصر على دراسة تصورات الشباب والشابات لأنفسهم/ن، وصورتهم/ن وصورة الشباب والشابات الآخرين/يات. بالإضافة إلى ذلك، نستخدم مفهوم «البيئة السياسية» في تحليلنا: الفكرة التي تقول بأن الأشخاص يتشكلون من خلال بيئتهم، والموارد التي يمتلكونها وتلك التي يفتقرون إليها. ونعتقد أن عدم المساواة تمنع الشباب والشابات من أن يصبحوا طبقة في حد ذاتها، لها مصالحها ومطالبها السياسية الخاصة.[1] وفي حالة تونس، فإن فهمنا للبيئة السياسية يرتبط إلى حد كبير بأوجه عدم المساواة الإقليمية، والتي تنعكس على نطاق أوسع إلى أوجه عدم مساواة طبقية. ونرى أن هذه العوامل هي المحفزات الرئيسية لاختلاف الشباب والشابات وانقسامهم/ن.

كانت النتائج التي توصلنا إليها عديدة، بل ومفاجئة في بعض الحالات. إحدى النتائج المهمة هي أن تحرك قيس سعيّد ضد البرلمان لاقى شعبية كبيرة بين الشباب والشابات. وقد كان هذا متوافقاً مع النتائج الأولية التي توصلنا إليها، والتي أظهرت أن الشباب والشابات شاركوه/نه رفضه لهذه المؤسسة والأحزاب السياسية التي تمثلها. بيد أن شعبيته تضاءلت تدريجياً لأن الشباب والشابات لم يروا تغييراً ملموساً في المجالات السياسية التي كانوا يتوقعون منه تحقيق التغيير فيها، وهي إضفاء طابعاً أخلاقياً على المشهد السياسي والاقتصاد والقضاء. ولم تكن إعادته للحكم الاستبدادي في تونس السبب الرئيسي وراء تراجع شعبيته، على الرغم من أن البعض رأوا أن ذلك يحمل في طياته تهديداً خطيراً. بل كان فشله في تحقيق النجاح في جوانب الحياة الرئيسية، وفي مقدمتها الاقتصاد والعدالة، هو ما بدأ يقوض شعبيته بين الشباب والشابات. في الواقع، يمكننا القول إنه يرتكب الخطأ نفسه الذي وقعت فيه النخب السياسية في عام 2011: وهو الاستجابة لمطالب الناس الاقتصادية والاجتماعية الملحة من خلال إدخال تغييرات مؤسسية ودستورية.

ومن بين النتائج المهمة الأخرى المترتبة على هذه النتيجة الأولى أننا وجدنا حنيناً ملحوظاً إلى نظام بن علي، وخاصة بين الجيل زد. على الرغم من الانتهاكات المروعة لحقوق الإنسان والنهب المستشري للاقتصاد التونسي، يمكن تلخيص ما تبقى من هذا النظام في عبارتين/شعارين: «الأمن والأمان» و «بعشرة دنانير يُمكنك ملء حقيبة التسوق». وهذا يشير إلى أن الذاكرة الجمعية للحكم الاستبدادي لم تنتقل إلى الأجيال الشابة بطريقة مقنعة.

أخيراً، فيما يتعلق بالقيم، لاحظنا تحولاً واضحاً نحو إضفاء طابع فردي على المشاكل والحلول على حد سواء. فعندما سُئل الشباب عن القيم الأكثر أهمية لتعزيزها في المجال الجماعي، أجاب معظمهم بـ «المسؤولية» و «الوعي»، وعرفوا هذه القيم بمصطلحات فردية؛ أي إذا كان كل شخص أكثر «مسؤولية» و «وعي»، فإن تونس ستكون في وضع أفضل. وقد وُضعت مسؤولية الوضع المشترك على عاتق نقص المسؤولية والوعي الفردي. وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن أحد النتائج المترتبة عن الانقلاب هو ضعف المجال الجماعي. إذ لم يعد المجتمع مساحة مناسبة للاستثمار في القيم؛ بل يجب الاستثمار في الأفراد، ومن المفترض أنه إذا قام كل فرد بدوره، فإن هذا التضافر سيحقق لتونس مستقبلاً أفضل.

تأهيل الشباب للمشاركة السياسية والتعبئة

المشاركة السياسية للشباب في تونس ما بعد عام 2011

أحيت عملية التحول الديمقراطي التي شهدتها تونس منذ عام 2011 الآمال في حدوث تغيير جذري في مكانة الشباب والشابات في البلاد، لا سيما فيما يتعلق بالتمثيل السياسي. بيد أنه بعد مرور عشر سنوات على الثورة، خلصت الأبحاث حول المشاركة السياسية للشباب إلى أن الشباب والشابات كانوا وما زالوا مستبعدين من المشهد السياسي التقليدي، أي من الأحزاب السياسية.[2] وعلى العكس من ذلك، فإن مستويات ثقة الشباب والشابات واهتمامهم/ن بالنظام السياسي منخفضة للغاية.

ووفقاً لاستطلاع رأي أجرته مؤسسة هاينريش بول في عام 2018، فإن 47% من الشباب والشابات التونسيون لا يهتمون على الإطلاق بالحياة السياسية والشؤون المحلية.[3] أما البنك الدولي، فقد قدم إحصائيات متدنية للغاية فيما يتعلق بثقة الشباب والشابات التونسيون بالنظام السياسي: فقد تبين أن 8.8% فقط من الشباب في المناطق الريفية و31.1% من الشباب في المناطق الحضرية يثقون في النظام السياسي.

غير أن هذا الحراك المزدوج المتمثل في الإقصاء واللامبالاة/انعدام الثقة بين الشباب والمشهد السياسي الرسمي لا يعني أنهم قد تخلوا عنه نهائياً. وكما هي الحال في العديد من البلدان في مختلف أنحاء العالم، يمكن وجود الشباب والشابات في مجالات أخرى. فقد قاد الشباب والشابات حركات اجتماعية هامة. ونحن نتحدث هنا عن حركات مثل «مانيش مسامح» (لن أسامح)،[4] التي تصدت لمشروع قانون المصالحة مع المتورطين في الفساد من المسؤولين الحكوميين ورجال الأعمال المتورطين في الاستيلاء الجماعي على الأصول العامة من قِبل النظام السابق.

كما شهدت ثورة 2011 تجديداً جيلياً واضحاً في الحركة النسوية. فقد تمكنت النساء الشابات، بمساعدة وسائل التواصل الاجتماعي، من إنشاء مساحات لمشاركة تجاربهن الشخصية وتقديم سرديات بديلة لتلك التي كانت موالية للدولة والتي اعتمدت عليها تقريباً النسويات اللواتي احتشدن ضد السرديات نفسها في الثمانينيات، بسبب الخوف الذي أثاره الإسلاميون في بداية التسعينيات. وكانت النساء الشابات من جيل الألفية في طليعة الحملات ضد التحرش الجنسي (حركة «أنَا زَادة») وجرائم قتل النساء. بالإضافة إلى ذلك، فقد فتحت الثورة

الباب أمام حركات مجتمع الميم، التي يقودها في الغالب الشباب والشابات. وأصبحت حركة مجتمع الميم تدريجياً أكثر وضوحاً في مساحات الحركات الاجتماعية على مدى العقد الماضي. في الواقع، لم تختفِ المشاركة السياسية للشباب والشابات إلى حد كبير بقدر ما تم تهجينها وتثقيفها وتركيزها على أشكال ومساحات بديلة للمشاركة.[5]

بيد أن هذه الأمثلة من المشاركة خارج السياق السياسي الرسمي يجب أن توضع في سياقها: إذ إنها غالباً ما تتضمن مشاركة منظمات غير حكومية تدعمها تمويلات أجنبية، أو الأشخاص الذين يعملون في المنظمات غير الحكومية أو الأنشطة التي تتعلق بها التي تعتمد على تمويلات أجنبية، وغالباً ما تكون متمركزة في تونس العاصمة. علاوة على ذلك، فإن المشاركة في المجتمع المدني تمثل تجربة طبقية ومحدودة جغرافياً: إذ إن معظم الناشطين هم من الشباب والشابات الذين يتحدثون عدة لغات، ويعيشون في المناطق الحضرية، وحاصلين على تعليم جامعي.

وعلى النقيض من ذلك، فإن 3% فقط من الشباب والشابات التونسيون الذين يعيشون في المناطق الريفية يشاركون في منظمات المجتمع المدني، وفقاً لاستطلاع رأي أجراه البنك الدولي عام 2014. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الانخراط في أشكال أخرى من المشاركة السياسية لا يشكل جسراً مع المشاركة السياسية الرسمية: وفقاً لما ذكره فتحي منصوري،[6] فإن نسبة ضئيلة للغاية من المجموعة التي شملها الاستطلاع (حوالي 10%) أشارت إلى أنه من المحتمل أنهم يروا أنفسهم يقومون بدور نشط في القيادة السياسية من خلال الانضمام إلى الأحزاب السياسية. وقد أكدت مشاعر العجز وانعدام القدرة هذا الاستنتاج، على الرغم من المشاركة في المجتمع المدني.

في هذا السياق، جاء انتخاب قيس سعيّد في تشرين الثاني/نوفمبر 2019، والدور المحوري الذي اضطلع به الشباب والشابات في حملته الانتخابية[7] بمثابة اضطراب كبير في السرد المقبول على نطاق واسع لإقصاء الشباب واللامبالاة تجاه السياسة الرسمية. فقد كان الشباب والشابات في طليعة حملته الانتخابية، ووفقاً لاستطلاعات الرأي، صوتوا له بكثافة منذ الجولة الأولى [8] (37% من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و25 عاماً صوتوا لسعيّد في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية لعام 2019 وفقاً لمؤسسة «سيغما كونساي».

المشاركة السياسية للشباب منذ 25 تموز/يوليو 2021

على الرغم من الدور الحاسم للشباب في انتخابات سعيّد عام 2019، لم يُحرز أي تقدم فيما يتعلق بإدماج الشباب والشابات في السياسة الرسمية، بل على العكس تماماً. فمنذ انقلاب 25 تموز/يوليو، توقفت الخطوات القليلة للغاية التي أُحرزت في هذا المجال من السياسات وتراجع مسارها. وما نشهده اليوم هو عودة واضحة إلى نقطة الصفر فيما يتعلق بالمشاركة السياسية للشباب.

على الرغم من أن الشباب والشابات اضطلعوا بدور حاسم في انتخابه، فإن قلة قليلة من الشباب والشابات يقودون النظام الجديد، سواء في الحكومة أم في اللجان المختلفة التي أنشأها أم حتى في وسائل الإعلام حيث يقوم مؤيدو سعيّد بـ«توضيح» مشروعه. من حيث المظهر، فإن ما نراه لا يختلف كثيراً عما رأيناه خلال العقد الديمقراطي: إذ يتصدر الرجال في منتصف العمر المشهد بينما الشباب، ربما باستثناء شخص واحد[9]، لا وجود لهم.

من الناحية القانونية، رفع الدستور الجديد سن الترشح لرئاسة الجمهورية من 35 إلى 40 عاماً. بالإضافة إلى ذلك، فإن القانون الانتخابي الجديد يلغي ببساطة جميع متطلبات الحصص والمساواة أو حوافز الترشح التي قُدمت بعد الثورة. وبما أن الترشيحات للانتخابات التشريعية أصبحت الآن فردية، فقد تم تحديد حصص لتزكية المرشحين (المساواة بين الرجال والنساء، و25% من المزكين يجب أن يكونوا من الشباب).

غير أن ذلك لا يسهم في التشجيع على تنوع المرشحين: طالما أن لديهم التوقيعات اللازمة، فإن كبار السن الذين لديهم موارد يتمتعون بحرية الترشح كما يشاؤون. فضلاً عن أنه لا توجد آلية رسمية لتشجيع النساء والشباب على الترشح. وليس غريباً أن الغالبية العظمى من النواب الجدد هم رجال كبار في السن: إذ يشكل الرجال الذين تزيد أعمارهم عن 45 عاماً حوالي 39% من النواب. وهم ضعف العدد الإجمالي للنساء في برلمان 2022. ويمثل النواب الذين تقل أعمارهم عن 40 عاماً 22% فقط من المجموع.[10]

الدورة البرلمانية/العمر	عدد النواب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 21-30 عاماً	عدد النواب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 31-40 عاماً	نسبة النواب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 21-30 عاماً / المجموع	نسبة النواب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 31-40 عاماً / المجموع
2019-2014	14	35	%6,45	%16,12
2021-2019	15	43	%6,91	%19,81
2027-2022	8	26	% 4,96	% 16,14

أخيراً، شهدت مشاركة الشباب والشابات في الانتخابات، التي لم تكن بالفعل مرتفعة، انخفاضاً كبيراً. وعلى الرغم من أن خدمة الاستشارة الإلكترونية[11] كانت متاحة للشباب والشابات الذين تتراوح أعمارهم/ن بين 16 عاماً فما فوق، فإن الإقبال كان منخفضاً: فقد كان 2% فقط من المشاركين والمشاركات تتراوح أعمارهم/ن بين 16 و19 عاماً. وشكلت الفئة العمرية 20-29 عاماً 16.9% من الناخبين والناخبات. وكانت الفئة العمرية بين 30 و39 عاماً هي الفئة الوحيدة الممثلة بشكل زائد مقارنةً بثقلها الديموغرافي في البلاد، بنسبة بلغت 25.59% من إجمالي عدد المشاركين والمشاركات.[12] وقد شوهد نمط الامتناع عن التصويت نفسه خلال الاستفتاء الذي عُقد في تموز/يوليو 2022، والانتخابات البرلمانية في كانون الأول/ديسمبر 2022 - كانون الثاني/يناير 2023. ففي الجولة الأولى، لم يصوت سوى 5.8% من الشباب والشابات الذين تتراوح أعمارهم/ن بين 18 و25 عاماً و26.7% من أولئك الذين تتراوح أعمارهم/ن بين 26 و45 عاماً، وفقاً لإحصاءات الهيئة العليا المستقلة للانتخابات.[13]

يُظهر هذا أن الدعم الذي حظي به قيس سعيّد من الشباب والشابات والذي تطلع إليه في عام 2019، لم ينعكس على الواقع فيما يتعلق بالاندماج السياسي أو المشاركة السياسية. إذ لم يفز الشباب والشابات بمزيد من المقاعد ولم يصوتوا بشكل أكبر منذ استيلائه على السلطة. إذاً، ما هو مصير الشباب والشابات هنا؟ أظهرت النتائج السابقة التي توصلنا إليها أن التقارب بين سعيّد والشباب كان نابعاً من تأييد قيم مماثلة (النزاهة، والأخلاق، وما إلى ذلك) والرفض المشترك للنظام السياسي والمؤسسة التي ترمز إليه أكثر من غيرها، ألا وهي البرلمان. سيظهر بحثنا الحالي أنه في كلا المجالين، كان سعيّد مخيب للآمال. ومع ذلك، في الوقت الذي يتضاءل فيه الدعم، فإن غياب بدائل تلبي هذه المطالب نفسها يخلق فراغاً يستمر سعيد في ملؤه عن طريق إعطاء الأمل بأن مطالب إضفاء الطابع الأخلاقي على السياسة ستتحقق من خلال تحركاته الاستبدادية تجاه المعارضين.

تحديد مفهوم تأثير أوجه عدم المساواة على الآراء السياسية

جغرافيا الظلم

ثمة مفهومان رئيسيان لفهم الاختلافات بين الشباب والشابات في تونس: البيئة السياسية من جهة، واندثار مفهوم الطبقة الاجتماعية من جهة أخرى. وقد توصلنا إلى هذين المفهومين لأننا أدركنا أنه نظراً إلى تاريخ العدالة الإقليمية في تونس، لا يمكن فهم الشباب والشابات على أنهم/ن مجموعة متماسكة واحدة.[14] إذ يسلط مفهوم البيئة السياسية «الضوء على أهمية استكشاف العلاقة المتبادلة بين البيئة والسياسة».[15]

وفي حين تركز العديد من الدراسات حول المشاركة السياسية للشباب على التنشئة الاجتماعية الأولية والثانوية،[16] فإن البيئة، وقدرة الشباب على الوصول إلى الموارد أو عدمها، والمرجعيات الثقافية التي يتعرض لها الفرد، تنتج اختلافات غالباً ما تتحول إلى أوجه عدم مساواة بين الشباب والشابات، وهذه التفاوتات تنتج «مجموعات متباينة من الشباب» يمكن أن تعبر عن الاستياء نفسه من حالة الشأن السياسي، ولكن من غير المرجح أن تعترف بوجود «معاناة مشتركة» يواجهونها كشباب وشابات. وبالتالي، فإن أوجه عدم المساواة تمنع الشباب والشابات من أن يصبحوا طبقة في حد ذاتها، لها مصالحها ومطالبها السياسية الخاصة.[17] وفي حالة تونس، فإن فهمنا للبيئة السياسية له علاقة وثيقة بالتفاوتات الإقليمية. كما كتبت جوليا سيميني:

> *«من شأن التمييز المكاني أن يوفر وصفاً أكثر شمولاً وتفصيلاً للحالة التي تواجه «الشباب» في تونس. إذ تتمتع الانقسامات الإقليمية بقدرة أكبر على الوصف والتفسير مقارنة بمجرد الانقسام بين الأجيال».[18]*

وقد دعمت هذه المقاربة النتائج السابقة التي توصلنا إليها والتي أظهرت أن الشباب والشابات في المناطق الداخلية لا يتماهون مع الشباب والشابات من المدن الساحلية الكبرى. وعلاوة على ذلك، تعزز اختيار النهج الجغرافي عند قراءة كتاب «عندما يتحدث الشباب عن الظلم، التجارب، ومستويات التعليم، والمصطلحات في تونس»(Quand les jeunes parlent d'injustice: Expériences, registres, mots en Tunisie)، الذي أعده عالمي الاجتماع حياة موسى وعماد المليتي في عام 2018.[19] بالأخذ في الاعتبار عام 2011 بوصفه لحظة حاسمة للتعبير عن الظلم في تونس، تُظهر مختلف مساهمات الكتاب أن الموقع الجغرافي هو في صميم تشكيل الظلم. يقول المليتي وموسى في كتابهما: «يبدأ الظلم بكونك هنا، بالولادة هنا، من الموقع».[20]

في الواقع، يمكن لهذا التماهي مع المساحة أو المنطقة المهمشة، حسب رأيهم، أن يتجاوز البيانات الاقتصادية المجردة للأفراد: «الانتماء إلى المركز أو المناطق المهمشة، وإلى البيئة الريفية أو الحضرية، وإلى المناطق الساحلية أو الداخلية»،[21] يتجاوز الثروة الفردية عندما يتعلق الأمر بتعريف الذات. ولذلك فإن التماهي مع منطقة مهمشة يمكن أن يصل في بعض الأحيان إلى حد طمس الانتماء الطبقي الاجتماعي في الطريقة التي يروي بها الأفراد قصصهم. بيد أنهم يدققون بعناية في هذا التحليل، لأن ظواهر التمييز أو التمييز الداخلي يمكن أن تظهر حتى داخل منطقة مهمشة، وفي بعض الأحيان تسيطر على خطاب التمييز الإقليمي.

على سبيل المثال، في حالة القيروان، فإن فئتي «البلدي» (البرجوازية الحضرية) و «الريفي» (الريفية) لا تقل أهمية عن الانتماء الجماعي إلى ما يُنظر إليه على أنه منطقة فقيرة. وفي حالة القيروان على وجه التحديد، يُرمز إليها بتعبيرات الازدراء للأشخاص الذين يستخدمون الحرف «غُ» بدلاً من الحرف «ق» عندما يتحدثون، إذ يُنظر إلى الأولى على أنها خاصة بسكان الريف بينما الثانية هي ما يجعل الشخص مواطناً حضرياً متحضراً. حظيت هذه الفئات بطابع وطني (إذ نادراً ما تسمع شخصاً يتحدث بالحرف «غُ» على الراديو أو التلفزيون، ولكن ستسمع الكثير من النكات حول الحديث بالحرف «غُ»)، ولكن في مناطق معينة مثل القيروان، يمكن أن تأخذ بعداً أكثر مركزية من المساواة بين الأشخاص من منطقة مهمشة.

والواقع أن مشاعر الازدراء وعدم الاعتراف تتشكل حول هذا البعد من الظلم الإقليمي. ومع ذلك، يجب أن نتذكر أنه عندما يتعلق الأمر بتعريف الظلم والإقصاء الاجتماعي في تونس اليوم، فإن النهج الجغرافي (أو المكاني) الذي اعتمدناه يتداخل مع أبعاد أخرى: البعد

السياسي، والبعد الإعلامي، والبعد العابر للأجيال.[22] كان البعد السياسي محور بحثنا الآخر حول الشباب والشابات في تونس، والذي قمنا من خلاله بتقييم تأثير حصص الشباب والشابات في المجالس البلدية المنتخبة عام 2018. وسيكون البعد الإعلامي والبعد العابر للأجيال من بين المحاور التي سيُركز عليها هذا البحث.

اندثار لغة الطبقة الاجتماعية

لاحظ المليتي وموسى أن الشباب والشابات الذين تحدث معهم/ن فريق البحث، نادراً ما يشعرون بالانتماء إلى طبقة اجتماعية. ومن ثَمَ، فمن الواضح أن هويتهم/ن تفتقر إلى السرد الجماعي والمشترك. وهذا يشير إلى أن الانتماء يكمن في مكان آخر. في معظم الأحيان، يكون الانتماء إلى البعد الجغرافي. وهذا العجز عن خلق هوية بين الشباب والشابات من خلال الطبقة الاجتماعية هو حقيقة لافتة للنظر. وأشاروا إلى أن اثنين فقط من الأشخاص الذين أُجريت معهم/ن المقابلات عرفوا أنفسهم/ن بعفوية أنهم ينتمون إلى فئة «الزَوَالِي»[23] (الفقراء). يُعرّف الشباب أنفسهم «عن طريق المقارنة الاجتماعية: [...] ليس بما هم عليه، ولكن بالمقارنة مع الآخرين: البالغين، وكبار السن، والشباب من الفئات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى والمناطق الأخرى». يمكن أن يقترن انعكاس المقارنة هذا مع ظاهرة التمييز بين الشباب التي سبق التطرق إليها في المقدمة.

يتيح اندثار لغة الطبقة الاجتماعية المجال لأمرين: خطاب الاقتصاد الأخلاقي، الذي تهيمن عليه «الفضيحة الأخلاقية للتمييز والحرمان من الحقوق». وهذا المصطلح فردي و«يركز على الفرد وحقه في الوصول إلى «أسلوب حياة طبيعي» أو أن ينظر إليه على هذا النحو». ومن ثَمَ، «فإن «المطالب الاجتماعية لا تُصاغ حول المطالبة بالمساواة بقدر ما تُصاغ في التصانيف الأخلاقية للاحترام والكرامة».[24] بالإضافة إلى الاقتصاد الأخلاقي، ثمة خطابات أخلاقية أكثر شمولاً تقع فيها مسؤولية الفشل أو التهميش على عاتق الفرد (مثل الكسل، والافتقار إلى قوة الإرادة، وما إلى ذلك). وقد شكل هذا الأمر الطريقة التي قمنا بها بصياغة أسئلتنا: ما هو المتوقع من الدولة، وكيف يرى الشباب أنفسهم/ن ومستقبلهم/ن. كما ساعدنا ذلك أيضاً على وضع سياق انتشار القيم التي تتمحور حول الفرد بدلاً من المجتمع، وهو ما سنناقشه لاحقاً في هذا البحث.

المنهجية

مجموعات التركيز

بالتعاون مع المنظمات الشريكة لها؛ (جمعية «جيل ضد التهميش» ومنظمة «WeStart»)، أجرت مبادرة الإصلاح العربي سلسلة تتألف من ست مناقشات مجموعات التركيز، ضمت 41 مشاركاً ومشاركة. وقد نُظمت مجموعات التركيز في موقعين مختلفين هما ولاية القيروان ومنطقة الكبارية. في القيروان، نظم فريقنا المناقشات في ثلاث مناطق مختلفة: مدينة القيروان، والشبيكة، وحاجب العيون. وبالمثل، في الكبارية، شملت المناقشات مشاركين ومشاركات يقطنون في المناطق المحيطة.

بالإضافة إلى الأهداف الأولية لمشروع «مبادرة الإصلاح العربي» الأول للشباب (2021) (ARI Youth-2022)، ركز البحث الحالي على الاختلافات بين الأجيال من خلال تضمين جيل الألفية والجيل زد في مجموعات التركيز نفسها. نرى جيل الألفية والجيل زد كجيلين مختلفين، من الناحية النظرية، لديهما تجارب سياسية مختلفة تماماً، نظراً إلى أن جيل الألفية نشأ في ظل نظام بن علي بينما نشأ الجيل زد في أعقاب ثورة 2011. وشمل البحث أيضاً التفاوتات الجغرافية، وتحديداً بين المناطق المحيطة بالمدن والمناطق الريفية. وكثيراً ما شهدت منطقتا القيروان والكبارية، شباباً يواجهون التهميش، مع مشاركة سياسية محدودة على مدى العقد الماضي.

استمرت مناقشات مجموعات التركيز ما بين ساعتين وأربع ساعات، حيث قام جزء من الفريق بتنظيم المناقشات والتفاعل مع المشاركين والمشاركات، بينما قام الجزء الآخر بتدوين المقابلات. في بداية كل مناقشة لمجموعات التركيز، طُلب من كل مشارك ومشاركة ملء نموذج يتضمن بيانات اجتماعية-ديموغرافية تحتوي على معلومات أساسية مثل العمر، ونوع الجنس، والحالة الوظيفية، والمستوى التعليمي، والإقامة في المناطق الحضرية/الريفية، والانتماء إلى حزب سياسي أو منظمة غير حكومية، وإن كان سبق المشاركة في الانتخابات. وكانت النماذج التي تم جمعها مجهولة المصدر ومُشفرة. وقد سُجلت مناقشات مجموعات التركيز ما لم يرفض المتحدثون تسجيلها. تم الحصول على موافقة مسبقة بشكل منهجي قبل مناقشات مجموعات التركيز وتم تخزين البيانات بعد ذلك على خوادم آمنة.

وبُذلت جهود لضمان التوزيع المتسق للمشاركين والمشاركات حسب العمر ونوع الجنس داخل كل مجموعة. وأخذ أيضاً بعين الاعتبار الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمشاركين والمشاركات ومستواهم/ن التعليمي من أجل جعل المجموعات ممثلة نوعياً قدر الإمكان للشباب والشابات في كل موقع، وضمان أوسع نطاق ممكن من وجهات النظر.

بُنيت جميع مجموعات التركيز الست حول استبيان قياسي تم إعداده من خلال استعراض المؤلفات والتحليل السياقي الذي تم إجراؤه في بداية المشروع. ومع استمرار تونس في عكس عملية «التحول الديمقراطي»، أضيفت أسئلة جديدة لتعكس السياق المتطور في البلاد. وفي الوقت نفسه، ظلت بعض الأسئلة كما هي في النسخة الأولى من المشروع.

من المهم أن نفهم كيف ينظر الشباب والشابات إلى التغييرات السياسية منذ تموز/يوليو 2021، وما هي أولوياتهم/ن الرئيسية، وما يرون أنه المسار الحاسم من أجل المشاركة الشاملة وتحقيق مزيد من العدالة الاجتماعية. ولتحقيق هذه الغاية، اعتمدنا نهجاً تشاركياً، باستخدام كل مجموعة تركيز لجمع البيانات. واستندت كل جلسة إلى مجموعة من الأسئلة تركز على مواضيع مختلفة:

- الشباب والحياة العامة
- القيم والتوقعات
- فهم تصور مراحل العقد الماضي والأحداث السياسية الأخيرة
- التنشئة الاجتماعية والمشاركة

- تصور البيئة الاقتصادية والمهنية

المشاركون والمشاركات

استمع المشاركون والمشاركات إلى الأسئلة وكتبوا إجاباتهم/ن على الاستبيان قبل أن نبدأ المناقشة لمزيد من التفصيل. استخدمت بعض الأسئلة طريقة المقالة القصيرة لإثارة النقاش بين المجموعة. بعد ذلك، قام فريقنا بتشفير البيانات بشكل استقرائي باستخدام الكلمات الرئيسية وتحليل البيانات المجمعة من خلال البحث عن الاختلافات ذات الصلة بين المواقع، ونوع الجنس، والعمر، من أجل تحديد وجهات النظر المتقاربة والمتباينة حول المشهد الاجتماعي والسياسي في تونس بين الشباب. وتُقدم نتائج التحليل في التقرير التالي.

- **العمر**

تألف المشاركون والمشاركات من شباب متنوعين من مختلف الفئات العمرية في كل موقع. كان بعضهم/ن ينتمون إلى جيل الألفية، الذين شهدوا ثورة 2011، والبعض الآخر من الجيل زد، الذين بلغوا سن الرشد في فترة ما بعد الثورة.

	مركز القيروان		الشبيكة		حاجب العيون		الكبارية	
التوزيع حسب العمر	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)
26-18	5	62.5	6	75	3	37.5	7	58.8
36-27	3	37.5	2	25	5	62.5	10	41.2

- **نوع الجنس**

فيما يتعلق بنوع الجنس، أظهر التوزيع داخل كل منطقة تبايناً طفيفاً:

	مركز القيروان		الشبيكة		حاجب العيون		الكبارية	
التوزيع حسب نوع الجنس	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)
ذكر	4	50	6	75	3	37.5	10	58.8
أنثى	4	50	2	25	5	62.5	7	41.2

- **مستوى التعليم**

فيما يتعلق بمستوى التعليم، أظهر التوزيع داخل كل منطقة تبايناً طفيفاً:

	مركز القيروان		الشبيكة		حاجب العيون		الكبارية	
التوزيع حسب المستوى التعليمي	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)
التسرب من المدرسة	0	0	1	12.5	0	0	4	23.5
المدرسة الثانوية	2	25	1	12.5	1	12.5	5	29.4
الجامعة	6	75	6	75	7	87.5	8	47.1

- **الحالة الوظيفية**

قدمت كل منطقة مجموعة من المشاركين والمشاركات لديهم/ن أوضاع وظيفية مختلفة.

	مركز القيروان		الشبيكة		حاجب العيون		الكبارية	
التوزيع حسب الحالة الوظيفية	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)
الطلاب	2	25	3	37.5	5	62.5	9	52.9
عمال اليومية	0	0	1	12.5	1	12.5	3	17.6
الموظفون	5	62.5	1	12.5	1	12.5	2	11.8
العاطلين عن العمل	1	12.5	3	37.5	1	12.5	3	17.7

- **المشاركة في المنظمات غير الحكومية**

قدمت كل منطقة مجموعة من المشاركين والمشاركات، كان بعضهم مشاركين في منظمات غير حكومية بينما لم يشارك البعض الآخر.

	مركز القيروان		الشبيكة		حاجب العيون		الكبارية	
هل تشارك/أو سبق لك أن شاركت في منظمة غير حكومية؟	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)
نعم	5	62.5	6	75	8	100	12	70.6
لا	3	37.5	2	25	0	0	5	29.4

استناداً إلى البيانات، فإن 31 من أصل 41 مشاركاً ومشاركة في مجموعات التركيز لديهم/ن خبرة في العمل مع منظمات المجتمع المدني. الشباب والشابات الذين أجرينا معهم/ن المقابلات لا يقدمون تمثيلاً كاملاً لأقرانهم/ن المحليين أو الشباب والشابات التونسيون بشكل عام. تسلط هذه البيانات الضوء على التحيز البحثي، إذ إن معظم الشباب والشابات التونسيين لا يشاركون في المجتمع المدني مثل الأفراد الذين تواصلنا معهم.

- **الانتماء إلى الأحزاب السياسية**

	مركز القيروان		الشبيكة		حاجب العيون		الكبارية	
هل تنتمي/ أو سبق لك أن انتميت إلى حزب سياسي؟	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)
نعم	2	25	0	0	0	0	1	5.8
لا	6	75	8	100	8	100	16	94

التصورات حول الذات والمجتمع والجيل

سرديات الجيل

الأجيال الراهنة

بدأنا جميع مناقشات مجموعات التركيز الست بالسؤال نفسه: كيف يمكن للمشاركين والمشاركات وصف جيلهم/ن باستخدام شيء، أو مفهوم، أو ظاهرة ثقافية؟ كان الهدف من هذا السؤال هو التعرف على كيفية نظر المشاركين والمشاركات إلى أنفسهم/ن، وجيلهم/ن، وأقرانهم/ن. وفهم آرائهم/ن ضمن إطار جماعي قدم الأساس لمزيد من التحليل.

المشاركون والمشاركات من الكبارية والقيروان ليسوا مجموعة متجانسة. بيد أنه من المهم إدراك أن تنوعهم/ن ينبع من وضع مشترك تتداخل فيها طبقات من أوجه عدم المساواة. وكانت هناك أوجه تشابه في كيفية وصفهم/ن لأجيالهم/ن. وأشاروا إلى أنفسهم/ن بوصفهم جيل الثورة وجيل البطالة.

جيل الثورة

كلتا المجموعتين ميزتا الثورة باعتبارها حدثاً محورياً أثر بشكل كبير على فهمهما لبيئتهما وميولهما السياسية. ويظل هذا مثالاً ظاهراً على إعادة تنشيط العمل الجماعي والتعبئة السياسية والتضامن، وتوليد نقاط قوة وقدرات جديدة للسياسة. ولكن كان يُنظر إلى الثورة أيضاً باعتبارها بداية فترة من انعدام الاستقرار كان لها تبعات سلبية على جيلهم الشاب.

> *نحن جيل التسعينات، جيل الثورة؛ أتيح لنا كل شيء في آن واحد؛ فقد رأينا كل شيء، وعمّقنا فهمنا للسياسة التي لم نكن مهتمين بها من قبل، وعمقنا فهمنا للثورة أيضاً حيث كان هناك حرقة وبطالة. (أنثى،23 سنة، الشبيكة)*

> *الثورة حدثٌ تاريخي؛ لقد تغيرت حياة الناس بسبب الثورة، بداية من نظرتهم للفن وحتى الصحة والحياة اليومية. شخصياً كنت أرى نظاماً واحداً للحياة قبل الثورة، ثم بعد ذلك صار هناك نظام آخر، حتى في رحلاتك وحياتك الثقافية وعاداتك. لقد أثرت الثورة عليّ بشكل كبير، وكانت لها عواقبها الإيجابية والسلبية. (أنثى،29 سنة، الكبارية)*

إن تجربة جيل الألفية المباشرة مع النظام السابق ومشاركتهم/ن المباشرة في الثورة تعكس أهمية هذا الحدث ومركزيته، فقد طرحت الثورة طرقاً بديلة للمشاركة السياسية والتنشئة الاجتماعية. وينطبق الشيء نفسه على الجيل زد، حيث عززت فترة ما بعد الثورة من فهمهم لحقوقهم، وجعلتهم يتمسكون أكثر بأهمية المشاركة النشطة في الحياة المدنية. ومع ذلك، لا يزال البعض متشككاً بشأن عمل المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، وهو ما يعكس عدم رضاهم عن السياق السياسي الأوسع.

> *أنا جزء من جمعية «جيل ضد التهميش»؛ أنا هنا لأن الناس يشبهونني ولدينا الهدف نفسه. نريد التغيير ودفع الحي إلى الأمام. رفضت الانضمام إلى جمعية أخرى لأن خلفيتهم غير واضحة، فهناك دائماً الخير والشر؛ وينضم بعض الأشخاص إلى المنظمات للتمتع بالمناصب فقط. (أنثى، 20 عاماً، الكبارية).*

جيل البطالة والتهميش

إن الأوصاف التي استخدمها المشاركين والمشاركات لوصف جيلهم/ن مثل «إنه جيل الملاكمين، لا يكفون عن الضرب، ولكنهم يناطحون جدراناً صماء» (ذكر، 35 سنة، حاجب العيون) و«جيل المهمشين» (أنثى، 20 سنة، الكبارية) تعكس بوضوح مشاعر الإحباط والضجر التي لا يزال الشباب يعانون منها في مرحلة ما بعد الثورة؛ إذ لا يزال الشباب من كلا الجيلين يواجهون عقبات في متابعة تعليمهم والدخول إلى سوق العمل. بيد أن هذا الشعور أوضح بين جيل الألفية، الذي عانى من فترة أطول من البطالة مقارنة بالجيل زد. وتزداد حدة تلك المشكلة بشكل خاص في المناطق الداخلية والجنوبية من تونس، تلك المناطق التي كانت مهد ثورة 2011. ففي الفترة بين تشرين الأول/أكتوبر 2021 وكانون الثاني/يناير 2022، سُجلت أعلى معدلات البطالة في المناطق الغربية والجنوبية من تونس (الشمال الغربي 33%، الجنوب الغربي 26.3%، الوسط الغربي 23%).[25]

> *جيلٌ تعوزه التنمية، وبلا عمل. يبدو الأمر كما لو أنني أعيش في عالم آخر. الدولة تعمل من أجل الكبار؛ أما بالنسبة لنا، فنحن نرى الناس يغادرون كل يوم، حتى أُفرغ الجنوب من شبابه. ذلك الشباب الذي كان من قبل يعيش بلا مسؤوليات. أما الآن فمسؤولياتي أكبر من عمري؛ فأنا أتحمل مسؤوليات رجل يبلغ من العمر 50 عاماً، وليس لديه سوى المشاكل. في السابعة والعشرين من عمري، أحلم وأرى أشياء كثيرة، لكنني عاجزٌ عن الوصول إليها. لا توجد كلمات يمكنها أن تصف لأقول كل ذلك. (ذكر، 27 سنة، الكبارية)*

مجموعة أخرى مستبعدة من الشباب والشابات التونسيون هي «الشباب غير المتمدرس وغير المتكون وغير الناشط» (NEETs)، ويقصد بهم الشباب والشابات غير الملتحقين/ات بالتعليم أو العمل أو التدريب. حيث تعاني البلاد من أحد أعلى معدلات التعليم والتدريب غير المرتبط بالعمل في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث وصلت إلى 33% في عام 2020.[26] ومع كل ذلك، لا تقدم الدولة سوى القليل من الاهتمام لدعم هذه الفئة المهمشة للانتقال من المجال التعليمي إلى المجال المهني.

> *سأتحدث عن شيء يحدث في عائلتي وهو البطالة؛ تتخرج و«تشد بلاستك» (تمكث في منزلك). كل فرد في المنزل أنهى ما لا يقل عن خمس أو ست سنوات من الدراسة. أنا مثلاً أنهيت شهادتي في عام 2016، والآن قررت أن أفعل شيئاً آخر، لأنني قضيت ست سنوات - ست سنوات من زهرة عمري - عاطلاً عن العمل، لذلك قررت العودة للدراسة مرة أخرى. (أنثى، 32 سنة، حاجب العيون).*

الجيل السابق

طُرحت نسخة بديلة من السؤال الأولي على المشاركين والمشاركات: إذا كان لهم/ن أن يصفوا جيل آبائهم في كلمة واحدة، فما هي؟ وقد تباينت الردود؛ أبدى البعض حنيناً وإجلالاً، معتبرين آباءهم/ن جيلاً ذهبياً. وعلى العكس من ذلك، انتقد آخرون هذا الجيل بشدة، مشيرين إلى سذاجتهم/ن وعدم تحملهم/ن للمسؤولية.

وبينما يقع جيل كامل في فخ «الانتظار»[27]، ينظر بعض المشاركين والمشاركات باعتزاز إلى الحقبة السابقة باعتبارها فترة «الاستقرار والأمن والراحة». (أنثى، 29 عاماً، حاجب العيون)، وعبروا عن شعورهم/هن بالحنين إلى زمن لم يعيشوه هم/هن شخصياً، معتبرين إياه رمزاً للوحدة والازدهار الاقتصادي، حتى أن إحدى المشاركات ذهبت إلى حد وصف جيل والديها بأنه «جيلُ الخير». (أنثى، 22 عاماً، الكبارية).

لا يقتصر الحنين إلى الماضي على الشباب التونسي؛ بل قد لوحظت الظاهرة نفسها في الديمقراطيات التي تمر بمرحلة انتقالية والديمقراطيات الراسخة[28]؛ حيث يعاني الأفراد من «توقٍ اجتماعي وحنين زمني لمرحلة مختلفة أو نوعية حياة مختلفة»[29]، خاصة الشباب، وتظهر هنا «الرغبة في استعادة السمات التي كانت عليها الحياة في ذلك الوقت، سواء أكانت تلك السمات البراءة أم الأمن أم الاستقرار أم البهجة».[30]

إن الظروف السائدة في تونس – ومنها معدلات البطالة المرتفعة، والصعوبات الاقتصادية الشديدة، والفساد، وعودة الاستبداد، والأزمة البيئية – كلها تحفز هذه المشاعر. لا يعني ذلك أن يعبر المشاركون والمشاركات عن رغبة فعلية في العودة إلى النظام الاستبدادي السابق في حد ذاته، بل يعبرون عن رغبة أكبر في العودة إلى ما يعتبرونه زمناً أفضل. إن خيبة الأمل من الحاضر تؤدي إلى إضفاء طابع رومانسي على الماضي.

بالإضافة إلى ذلك، فمن أسباب تحفيز هذه المشاعر هو الافتقار إلى المعرفة المكتسبة لدى الشباب والشابات - وخاصة الجيل زد - حول النظام السابق وانتهاكاته. حيث تعكس الطريقة التي وصف بها العديد من المشاركين والمشاركات عهد بن علي فهمهم/ن المحدود لحكمه؛ فقد اعتبره عددٌ قليل من المشاركين بطلاً في مجال الاستثمار الأجنبي والاستقرار الاقتصادي، في حين رأى آخرون أنه حاكمٌ عادل يعطي الأولوية لرفاهية المجتمعات الفقيرة. وقد تعاضدت عوامل عدة ومجموعة متنوعة من المصادر في تشكيل وجهات نظرهم؛ فبعضهم كوّن انطباعاته من خلال ما يُعرض على وسائل التواصل الاجتماعي، بينما اعتمد آخرون على الروايات التي رواها آباؤهم.

كان يخفض الأسعار؛ ويساعد المجتمعات الفقيرة؛ ويهتم بها ولم يحاول قمعها. قرأت عنه على وسائل التواصل الاجتماعي. (ذكر، 19 سنة، الكبارية)

في السابق، كانت لدينا استثمارات وتعاون مع دول أخرى. وكان لدينا استقرار اجتماعي، وكان الاقتصاد مزدهراً، وكان هناك حافز لنكون منتجين. والآن، نحن نغرق في أزمة الديون. (أنثى، 23 سنة، الكبارية)

أرى أن بن علي شخصٌ جيد، ولهذا السبب دُفن في المملكة العربية السعودية». (أنثى، 26 سنة، وسط مدينة القيروان)

أنا أحترمه، رحمه الله. كان دكتاتوراً ولكن مع الأغنياء فقط... وكانت له هيبة وكان يحظى بالاحترام بين الدول الأخرى. لقد أجرى مبادرات مع دول أخرى وعقد معها مؤتمرات قمة. (ذكر، 27سنة، الكبارية)

أما الإجابات الأخرى فيظهر منها نقدٌ أكبر للجيل السابق؛ حيث وصف المشاركون والمشاركات جيل آبائهم/ن بأنه يفتقر إلى الرؤية المستقبلية ويرضخ للوضع الراهن، وأن حياتهم/ن كانت تدور حول مسار واحد واضح: الدراسة، والعثور على وظيفة، والزواج.

كانوا ضيقي الأفق؛ لم يكونوا تقليديين فحسب على مستوى الدين أو شيء من هذا القبيل، بل لم يكن لديهم رؤية حول كيفية تغيير المستقبل. إن فكرة تغيير المستقبل في حد ذاتها لم تكن مطروحة بالنسبة لهم. كانوا يعيشون فقط، هذا كل شيء. (ذكر، 25 سنة، حاجب العيون)

كذلك أظهر معظم المشاركين الذين قابلناهم ترددهم عند مناقشة السياسة مع آبائهم؛ ففي كثير من الأحيان، يكون هناك تباين كبير بين وجهات نظرهم السياسية، حيث يدعم كل منهم أحزابًا أو أيديولوجيات سياسية مختلفة. ونتيجة لذلك، تميل هذه المحادثات إلى أن تكون متوترة أو صعبة، مما يجعلهم يشعرون بسوء الفهم وعدم سماعهم من قبل والديهم.

نحن لا نتحدث عن السياسة؛ إننا نادراً ما نجتمع سوياً. وحتى عندما يتطرق الحديث لموضوع سياسي، لا أشارك في المناقشة. (ذكر، 18 سنة، الكبارية)

طموحاتنا مختلفة؛ هم يحاولون فرض معتقداتهم، ولذا أفضّل عدم مشاركة رأيي لأنهم لا يحترمونه. (ذكر، 28 سنة، الكبارية)

نحن نتحدث، ولكن لدينا وجهات نظر مختلفة؛ فهم يعتقدون أن الوضع قبل الثورة و25 تموز/يوليو كان أفضل من الآن. مشكلتنا هي أن كل واحد منا يدعم حزباً سياسياً. وفي كل مرة نتحدث فيها معاً، ينتهي بنا الأمر إلى إغلاق المحادثة. أصعب شيء هو محاولة تغيير عقلية شخص ظل متمسكاً بالمُثُل نفسها لفترة طويلة. لقد حاولت إقناعهم بالتصويت لعدة سنوات، لكنني فشلت. لدي أفراد من عائلتي دعموا النهضة فقط لأنهم اعتقدوا أنهم ينشرون الإسلام، فأخبرتهم أن عليهم أن يشاهدوا المناظرة الرئاسية، وأن يطلعوا على مشاريعهم، وألا يجعلوا الشائعات تؤثر على حكمهم. (أنثى، 23 سنة، الكبارية)

الجيل الأصغر سناً أقل خوفاً من التغيير من آبائهم؛ إذ إنهم يحاولون التكيف مع التغيرات المستمرة في سياقهم، مدركين أن البدائل موجودة خارج الأنظمة التي ورثوها، ولا يشعرون بأنهم مضطرون إلى القبول بالوضع الراهن والرضوخ له. ومن الأمثلة على ذلك أنهم يشاركون بنشاط في المجتمع المدني، الذي يوفر لهم بيئة آمنة يمكنهم من خلالها التواصل مع الأشخاص ذوي التفكير المماثل واستكشاف تجارب جديدة بدلاً من الانغلاق على رؤية آبائهم.

آباؤنا يعارضون خروجنا والمشاركة في المجتمع المدني. إنهم لا يحبون رؤيتك تفعل أشياء مع أصدقائك (شخص ما يتمتم بالرفض). لا، لقد عشت ذلك، أستطيع أن أقول

لك. لا أعرف. إنهم محدودون في أفكارهم. كما قال XX، لقد عاشوا هذا وذاك ولكنهم لا يريدون مشاركتنا في طموحنا نحو التغيير أو أفكارنا الجديدة. إنهم يفتقرون إلى «الوعي»،[31] ولا يكفون عن القول: «لم نفعل هذا في عصرنا». كل ما يفعلونه أخذوه عن سابقيهم. (أنثى، 27 عاماً، حاجب العيون)

البيئة السياسية والتمييز والنزعة الإقليمية

القيروان

تناول أحد الأجزاء الرئيسية من استبياننا تصور الفرد لنفسه وأقرانه في المنطقة، وكذلك تصوره تجاه بقية البلاد. وقد حرصنا على سؤال الشباب والشابات أولاً: كيف سيفكر فيهم/ن الآخرون كأفراد إذا وضعوا أنفسهم/ن مكانهم/ن، وكذلك كيف سيكونون في نظر أقرانهم/ن، أي شباب وشابات القيروان وحاجب العيون والشبيكة والكبارية. «الآخرون» هنا في البداية كانوا شباباً من بقية الولاية - أي تونس والقيروان - ثم شباب وشابات من بقية البلاد. ثم طلبنا منهم أن يكتبوا ما تثيره فيهم/ن مناطق أو أحياء معينة بكلمة واحدة دون تبرير.

يعتبر الشباب والشابات في القيروان أنفسَهم/ن موضعَ نظر سلبي على مستويين؛ الأول على مستوى المحافظة بالنسبة لأولئك الذين ليسوا من مدينة القيروان. والثاني على المستوى الوطني، إذ يشعر الشباب والشابات بأنهم محصورون في قوالب نمطية يراها الغرباء إيجابية، ولكنها ليست أكثر من كليشيهات، مثل المقروض (معجنات قيروانية شهيرة) أو الكفتاجي (طبق تونسي، له وصفة قيروانية).

غادرتُ القيروان ودرست في إحدى الجامعات؛ وأصدقائي يرونني «كعبة مقروضة» (قطعة من المعجنات) (ذكر، 25 سنة، الشبيكة)

ينظر الأشخاص إلينا في تونس العاصمة وسوسة على أننا من الذين يستخدمون الحمير للتنقل ونرتدي «الملحف» (قطعة قماش) و«البرنُس» (معطف تقليدي) (ذكر، 33، مدينة القيروان)

تتعرض القيروان كذلك لقالب «الجوع الجنسي»؛ إذ يقولب شباب القيروان في الكليشيهات التي تحول رجالهم إلى متحرشين جنسياً. وبشكل عام فإنهم يتعرضون للسُّباب الذي تخصصه المناطق الساحلية للقادمين من المناطق الداخلية. تهدف هذه الإهانات إلى إيصال فكرة أن سكان القيروان أقل «تطوراً» و«تحضراً» من سكان العاصمة ومنطقة الساحل.

إذا نظرنا على مستوى البلاد، سنرى انتشار فكرة أنك إذا كنت من القيروان فأنت متحرش جنسي؛ فالقيرواني/ القروي = متحرش. حتى في مجموعات الفيسبوك (حيث يتفاعل مع هذا القالب النمطي كثير من الناس، ويصممون بناء عليه صوراً مضحكة (ميمز)، على حد قول أحدهم). إنها مزحة، وهي («مؤلمة»، على ما تمتم به أحدهم) لا، ليست مؤلمة أو جارحة. إذا كان الشخص يعمم هذا القالب النمطي على القراوة (جمع قيرواني) بسبب فعلٍ أو اثنين، أستطيع أن أعطيك عشرين حادثة حصلت في الجنوب أو في مدنين، وأقول لك «هذا الشخص متحرش». وهذا الشيء (تهمة التحرش) لا زال يحدث، ويسبب مشاكل كثيرة وخطيرة. هذا إذا كنت ترغب في بناء علاقات أو شيء من هذا القبيل. ومع احترامي للصحفيين والإعلاميين، فأنتم ستشعرون أن هذه الحكاية مفبركة؛ ولكن هناك قصة منتشرة عن اغتصاب امرأة عجوز في منزلها في القيروان، ثم اغتُصبت فتاة أخرى وقُتلت في المرسى، وصادف أن المتهم قيرواني. لذلك استلمه الناس بالسب والشتم في وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي. يجب على الناس العمل على هذا وإصلاحه لأنه ظاهرة خطيرة. (ذكر، 25 سنة، حاجب العيون)

لن أحيد عن آراء الآخرين؛ إذا ذهبت إلى الساحل أو الشمال، تسمع: «جبري» (أخرق) و«مكبوتين» (جوعى جنسياً) و«معقدين» (لديك عقدة نفسية) وأشياء مثل: «منذ متى تعرف كيف تلبس؟» وذلك يعتمد على المنطقة. في القيروان أو الحي الذي أعيش فيه مع الشباب الآخرين، نسمع عبارات من قبيل: «ماذا تفعلون هنا؟ اذهبوا وسافروا وشاهدوا بلداناً أخرى». (أنثى، 24 سنة، مدينة القيروان)

وفي حاجب العيون على وجه الخصوص، أدى ظهور «خبر» حدث قبل بضع سنوات إلى ضجة كبيرة، وفقًا للشباب والشابات الذين أجرينا مقابلات معهم/ن والذين لديهم/ن «سمعة سيئة» في جميع أنحاء المحافظة والبلاد:

«حادثة عطر القوراص» (قصة الشباب الذين ماتوا لأنهم شربوا العطر ظناً منهم أنه سيسكرهم)، لقد نسي الناس كل شيء جميل في حاجب العيون وتمسكوا بهذه القصة. وذلك على مستوى المحافظة وعلى المستوى الوطني. (أنثى، 29، حاجب العيون)

غالبًا ما يستخدم المشاركون المقارنات لكسر تلك القوالب النمطية:

لقد درستُ في تونس؛ لم يحدث لي شيء في القيروان، ولكن في تونس تعرضتُ للسرقة والمضايقة وما إلى ذلك. وكما قال XX، إنهم يسلطون الضوء على القيروان على الرغم من حدوث الكثير من الأشياء المماثلة في تونس أيضاً. ثمة مثلاً رجال الشرطة الذين قتلوا واغتصبوا فتاة [في تونس]، ولم يتحدث أحد عن ذلك. (أنثى، 30 عاماً، حاجب العيون)

فمن خلال الإشارة إلى ما يحدث في أماكن أخرى؛ يريد الشباب والشابات أن يوضحوا الطبيعة غير المبررة وغير العادلة لهذه القوالب النمطية: ما الفرق بين تونس والقيروان الذي يجعل الخبر نفسه في الأولى خبراً بسيطاً، بينما في الثانية دليلاً عاماً على حقيقة ما يحدث في منطقة معينة؟ ثم يحيل الشباب هنا إلى دور وسائل الإعلام، حيث يقال إنها تعزز وترسخ تلك المعتقدات القائمة.

تتفاعل هذه «الكليشيهات» والقوالب النمطية مع منطق أكثر عمومية يقضي بإقصاء سكان المناطق الداخلية، وهو ما كان سمة مهمة من سمات البناء الوطني التونسي منذ الاستقلال. إن حقيقة النظر إلى سكان القيروان على أنهم «متخلفون» و«تقليديون»

و»سُذّج» وقبل كل شيء «جوعى جنسياً» تظهر أن النزعة الإقليمية التي روج لها تاريخياً أشخاصٌ مثل بورقيبة (الذي تحدث عن سكان بعض المناطق على أن لهم «إنسانية منفصلة»[32] (لا تزال سائدة؛ بمعنى أن بعض الناس «حداثيون» في حين أن البعض الآخر «متخلفون» ويحتاجون إلى تروي.[33]وقد استُخدمت هذه الادعاءات تاريخياً لتهميش سكان هذه المناطق، وتقديم خدمات عامة أقل جودة لهم لأنهم اعتُبروا «متخلفين» للغاية بحيث لا يستحقون أي منها. وهذا أمر أساسي فيما أسماه هيبو «البناء غير المتكافئ للدولة التونسية»[34]؛ فالقيروان لكونها منطقة داخلية ذات تقاليد حضرية قوية، تقف إلى حد ما في منتصف الطريق، وهو ما يفسر ظاهرة التمييز الداخلية بالمنطقة التي تحدث عنها الشباب.

ولا تقتصر هذه القوالب النمطية على المناطق الساحلية؛ بل إن القيروان نفسها منقسمة. يفصل هذا التقسيم بين من يسكن عاصمة المحافظة القيروان، ومن يسكن خارجها. ويتجسد هذا الانقسام في التحدث باستخدام الحرف «غْ» في مدينة القيروان و»ق» خارجها. وقد قدم أحد المشاركين من حاجب العيون تفسيراً تاريخياً لهذه الظاهرة:

في القيروان هناك المدينة القديمة، ويعيش فيها «السكان» الأصليون الموجودون داخل أسوار المدينة، والعائلات تقيم هناك منذ قرون. ثم ظهرت امرأة على الراديو تقول لن أزوج ابنتي أبداً من رجلٍ يسكن خارج تلك الأسوار. ومن هنا أصبحت قضية «عنصرية». هذا هو الشيء ذاته الذي يحدث. كما ترون، كل هؤلاء الأشخاص الذين يعيشون خارج المدينة القديمة في القيروان يمارسون هذا التمييز ضدنا. إن القيرواني الحقيقي (أولئك الذين أقاموا وعاشوا داخل أسوار المدينة) لن يتصرف بهذه الطريقة، وهم حتى لا يفكرون بهذه الطريقة. هل تعرف من يفعل هذا؟ أولئك الذين هم خارج الأسوار يفعلون ذلك، رغم أن هذا ليس من شأنهم، لأننا إذا عدنا إلى التاريخ، وإذا نظرنا إلى أشجار العائلات، ستجد أن أصحاب هذه الآراء هم إما الحمامي أو الجلاصي (أسماء قبائل). وجوابنا لهم يكون بعملنا وأخلاقنا؛ هذه هي الرسالة الحقيقية التي ستصل ولن تموت أبداً. (ذكر، 25 سنة، حاجب العيون)

ومن المثير للاهتمام أن الشاب يسلط الضوء على الطبيعة الغاصبة لمن يمارسون التمييز ضد من يعيشون خارج عاصمة المحافظة. لقد عاشوا هم أنفسهم خارج المدينة، لكنهم كانوا «أكثر ملكية من الملك» تجاه أقرانهم السابقين. وهذا التفسير مثير للاهتمام لأنه ينسب نوعاً من البراءة والنبل إلى «القيرواني الحقيقي» الذي لا علاقة له بمثل هذه الأشياء. ومن ناحية أخرى، هناك فكرة الرد على الوصمة بمزايا الفرد الشخصية، والتي سمعناها بانتظام من الأشخاص الذين عانوا من التمييز على أيدي سكان العاصمة ومنطقة الساحل.

روت إحدى المشاركات من القيروان حادثة اعتداء لفظي من إحدى زميلاتها في الجامعة اللاتي يجاورنها البلد نفسه:

بما أنني من آلين (منطقة ريفية)، فإن الناس من القيروان ينظرون إليّ على أنني «جابرية من أورا لبلايك» («وغد ساذج من وكرٍ متخلف). وهناك حادثة حصلت لي في الجامعة مع فتاة من القيروان. كنا نناقش الدروس فقالت لي: «من تظنين نفسك؟ أنت جابرية مناورا لبلايك» (أنثى، 26 سنة، مدينة القيروان)

الكبارية

غالباً ما تكون وسائل الإعلام مسؤولة عن خلق خطاب وصم للشباب. في الكبارية، يُنظر إلى الشباب والشابات بشكل سلبي على المستوى الوطني والمحلي، ولا يزال المشاركون يتعرضون للخطاب الوطني الوصمي الذي تشكله وسائل الإعلام، مما يخلق قوالب نمطية جاهزة. وقد أشار المشاركون والمشاركات إلى اعتقادٍ بأن الوصمة المرتبطة بالحي الذي يعيشون فيه تؤثر على كيفية نظر الآخرين إليهم/ن ، وتشكل صورتهم/ن الذاتية. وينحو كثيرون باللائمة على وسائل الإعلام في تضخيم الأحداث وزيادة وصم حيهم؛ فالقصص المتعلقة بالكبارية والمناطق المحيطة بها غالباً ما تتعلق بالعنف والجريمة وحتى الإرهاب.[35]

لقد تحوّلت نظرة الجمهور إلى الشباب بشكل كبير بسبب هذا الاهتمام الإعلامي السلبي، والنظرة الأمنية إلى الشباب التونسي العاطلين عن العمل لسنوات. إذ لم يعد يُنظر إليهم على أنهم قوى ديناميكية تقود التغيير الإيجابي في المجتمع؛ بل يُنظر إليهم بشكل متزايد على أنهم تهديد مجتمعي يلوح في الأفق. على سبيل المثال، خلال ديكتاتورية بن علي وما بعد الثورة، اعتمدت النخبة الحاكمة على النظرة الأمنية والتعامل الأمني مع الشباب العاطلين عن العمل، واتخذوها مطية لتشكيل آليات عقابية تجعلهم «قابلين للحكم والإدارة».[36] كذلك بُنيت صورة عن الشباب – بصورة أكثر محدودية – باعتبارهم مجموعة سكانية ديناميكية ذات توجهات مستقبلية تحتاج إلى التشجيع وإدماجها سياسياً.[37] ومع استمرار مشاكل عدم المساواة الإقليمية والبطالة، **صورت النخب الحاكمة الشباب العاطلين عن العمل والمتظاهرين بعد الثورة على أنهم تهديدٌ محتمل للأمن القومي.** ومن هنا خلقوا سردية مفادها أن الشباب «الجامحين» كان لهم تأثير سلبي على التقدم الاقتصادي المستقر. وكثيراً ما قدمت النخبة سردية أخرى مفادها أن الإرهابيين بإمكانهم التلاعب باحتجاجات الشباب العاطلين عن العمل - الذين يطالبون بحقهم في العمل - واختطافها. بل إن الرئيس التونسي السابق الباجي قائد السبسي أشار في إحدى خطاباته إلى أنه «لا يمكن أبداً تصور الكرامة دون ضمان الحق في العمل. ولكن كان هناك من حاول اختطاف هذه الاحتجاجات ونشر الإرهاب".[38]

لم تعتمد النخب الحاكمة على خطاباتها فقط في التعامل الأمني مع الشباب العاطلين عن العمل، بل استخدموا أيضاً تقنيات مختلفة لتعزيز تفكيرهم القائم على النظرة الأمنية. وهنا كان استخدام الاعتقال التعسفي ونشر الجيش في مواقع الاحتجاجات بمنزلة استراتيجيات تهدف إلى تعزيز الأمن، ودعم سردية الهجوم الإرهابي المحتمل.[39] وقد أدت هذه الإجراءات إلى مواجهات عنيفة بين المتظاهرين والشرطة. إن النظرة الأمنية للشباب العاطلين عن العمل تشكل حلقة واحدة من تاريخ طويل من تهميش الشباب والشابات التونسيين وأحياء الطبقة العاملة. وقد عززت وسائل الإعلام هذه التصورات السلبية، مما أدى إلى شعور مرير بالظلم لدى العديد من المشاركين والمشاركات.

ما يزعجني هو السمعة السيئة التي يُحكم بها عليّ مسبقًا على الرغم من أنه لم يحدث لي شيء فظيع هنا. بينما أصدقائي من الخارج كأنهم يقولون لي بلسان الحال: «أيتها المسكينة!». (أنثى، 29 سنة، الكبارية)

عندما تخبر الأفراد الذين يعيشون في المرسى، البحيرة، أنك من الكبارية، يشعرون بالخوف، إنهم يرونك مجرماً. (ذكر، 28 سنة، الكبارية)

لا ينبغي لنا أن نغضب لأن هذه الصورة انتشرت في وسائل الإعلام منذ سنوات. وبما أن الكثير من الناس لم يسبق لهم زيارة الكبارية، فمن الطبيعي أن يكون لديهم هذا التصور. (ذكر، 18 سنة، الكبارية)

تعكس المؤسسات التعليمية في كثير من الأحيان المعايير التمييزية في المجتمع التونسي وتكررها وتعززها. يمكن أن تظهر هذه التحيزات في كيفية تفاعل المعلمين والمعلمات مع طلابهم/ن أو في التفاعلات بين الأقران. كما أن حالات التحرش والعلاقات السيئة بين الطلاب والطالبات بعضهم/ن البعض أو بين الطلاب والمعلمين والمعلمات كلها أسبابٌ يمكن أن يكون لها تأثير كبير على الطلاب والطالبات وصحتهم/ن النفسية، إذ من الممكن أن يسبب ذلك للطالب التونسي شعوراً بـ«انعدام الأمن» ويكوّن لديه «رؤية سلبية للمؤسسة».[40]

في جامعتي، كان الطلاب ودودين في البداية. ولكن عندما تتعرف على بعضنا البعض بشكل أفضل، وأخبرهم أنني من الكبارية تتغير معاملتهم. (ذكر، 32 سنة، الكبارية)

في تونس، يبدو أن البيئات المدرسية تعزز المواقف التي تؤدي إلى الإذلال؛ حيث ينظر الشباب والشابات إلى أنفسهم/ن على أنهم/ن ضحايا معاملات غير مقبولة أخلاقياً. ويصفون تجاربهم/ن مع التركيز على مفاهيم مثل التمييز والإذلال، المرتبطة بأشكال مختلفة من الظلم الاجتماعي.[41]

معظم الناس لا يعرفون كبارية. لقد طردتني إحدى أساتذتي أنا وأخي من الصف لأننا من الكبارية. فحاولنا الحصول على درجات ممتازة في الاختبار لإثبات خطئها. (أنثى، 23 سنة، الكبارية)

القيم والأولويات السياسية للشباب

هيمنة القيم الفردية

في الاستبيان، طلبنا من المشاركين والمشاركات الاختيار من قائمة القيم (أدرجنا جميع القيم التي حُكيت لنا خلال التكرار السابق للمشروع)، والقيم الثلاث التي شعروا أنها الأكثر أهمية اليوم في تونس، والتي ينبغي أن تهيمن على المشهد السياسي والاجتماعي. وكانت النتائج كما يلي:

القيم	قيمة 1	قيمة 2	قيمة 3	إجمالي عدد مرات ذكرها
الوعي	11	4	4	19
المسؤولية	2	6	9	17
العدالة	3	7	6	16
الاحترام	4	7	4	15
المواطنة	10	2	3	15
الحرية	3	4	3	10
المساءلة	0	3	4	7
الشفافية	3	1	2	6
المساواة	2	1	2	5
التسامح	2	1	1	5

التضامن	1	2	1	4
الأمن	0	1	0	1
لا توجد إجابة/غير واضحة	0	2	1	3
الأخلاق	0	0	1	1
الإجمالي	41	41	41	123

نلاحظ في هذا الترتيب هيمنة القيم التي تتمحور حول الفرد؛ كما يبرز من هذا الترتيب أمران: الأول؛ غلبة الوعي والمسؤولية؛ إن «الوعي» هو شيء تساءلنا عنه كثيراً في الماضي، لأنه سيطر بالفعل على مجموعات التركيز لدينا في عام 2021. وعلى الرغم من صعوبة تعريفه، إلا أنه كان أساسياً في خطاب المشاركين والمشاركات. ويصفونه بأنه حالة من المعرفة والوعي بالعالم الخارجي، وبالبيئة المحيطة، وطريقة للتجذر أكثر في العالم. وإن حملات التطهير التي أعقبت انتخاب سعيد بشكل عفوي أطلق عليها اسم «حالة الوعي»، وترمز إلى العودة إلى الوعي، بل يمكن أن نذهب أبعد من ذلك ونربط هذا المفهوم بمفهوم اليقظة، إلا أن الاتهام بغياب الوعي - الموجه إلى الأفراد والمجتمع بشكل عام - يتكرر كثيراً في تونس، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالخيال الاستعماري (الذي يرى أن السكان الأصليين يفتقرون إلى الحضارة والتعليم والذكاء وما إلى ذلك) بدرجة لا تثير الشكوك حول هيمنة هذا المفهوم. وإلى جانب مفهوم المسؤولية، يُطرح هذان المفهومان في أغلب الأحيان من منظور فردي وليس جماعي؛ فالمسؤولية والوعي يراد بهما أن يجسدهما الأفراد، الذين هم لَبِنات المجتمع. كما أن طرح قيمة المسؤولية يقصد به المطالبة بالمسؤولية السياسية لمن هم في السلطة. لكننا رأينا في الغالب فكرة أنه إذا كان كل شخص مسؤولاً، فإن الأمور ستكون أفضل.

بطريقة ما، يمكننا أن نرى في هيمنة هذا التأطير الفردي للوعي والمسؤولية معرقلاً للمجال السياسي الجماعي، خاصة منذ انقلاب قيس سعيد. ففي حين أن أحد الإجابات الرئيسية التي سمعناها في عام 2021 كان «الاحترام» والأمر نفسه في «التمتع بحياة سياسية أكثر احتراماً وأقل عنفاً»؛ فاليوم، لم يعد العمل الجماعي والمجتمع مكانين للاستثمار في القيم؛ لقد انتهى البحث عن أرضية مشتركة، والآن أصبح كل إنسان مسؤولاً عن نفسه، ومن تراكم هذه الإضافات يأتي الخلاص. لقد أضحى من غير الممكن الاعتماد على المجال الجماعي، بل صار هو نفسه مجالاً غير واضح للغاية، وتعسفي لدرجة كبيرة، بحيث لا يمكن استثماره بشكل جماعي. علاوة على ذلك، فإن هذين المفهومين يتبعهما مباشرة مفهوم «العدالة»، وهو مطلب غالباً ما يقدمه الأفراد تجاه الدولة، كما يوضح المليتي وموسى. ويمكننا أن نجرؤ على القول إنه بدون العدالة، فإن هذا التراجع نحو تنمية القيم الفردية سوف يستمر.

لا يمكننا أن نتحدث عن الاحترام دون وجود القاعدة، فالقاعدة هي الإنسان الواعي بحاشيته ونفسه وبيئته. (أنثى، 24 سنة، مدينة القيروان)

الوعي هو إدراك ما يحيط بك وما يحدث حولك، ليعرف الشخص ما يجب عليه فعله. (أنثى، 21 سنة، حاجب العيون)

الميسّر: ماذا يعني غياب الوعي بالنسبة لقلة الاحترام والفوضى.

«الوعي» بالنسبة لي هو أشبه بالعصف الذهني، إذا فهمته، تحصل معه على كل القيم. (أنثى، 21 سنة، حاجب العيون)

عندما تكون مسؤولاً، فإنك تساعد نفسك والآخرين أيضاً. الأمر أشبه بوجود صوت داخلي يحفزك على القيام بالأشياء بشكل جيد. (أنثى، 23 عاماً، الشبيكة)

المسؤولية كلمة كبيرة. سيكون من المفيد أن تكوني مسؤولة في عملك وتعليمك وما إلى ذلك. (أنثى، 21 سنة، حاجب العيون)

من الضروري تحقيق العدالة في البلاد، على سبيل المثال، الطلاب الذين اعتقلوا بسبب أغنية (ذكر، 21 عاماً، الشبيكة)

العدالة هي القيمة الأساسية التي يجب أن نطبقها. وكما قال ابن خلدون: «العدل أساس العمران»؛ ولبناء دولة حديثة ومدنية، تحتاج إلى العدالة. (ذكر، 26 سنة، الشبيكة)

الأمر الثاني الذي لفت انتباهنا هو حقيقة أن مفهوم الوطنية («حب الوطن» حسب التعبير الذي استخدمناه في الاستبيان) كان حاضراً في عدد كبير من الإجابات، وبصورة مستمرة تقريباً في المركز الأول. فمن أصل ثلاثة عشر مرة ذُكرت فيها هذه القيمة إجمالاً، كانت عشرة منها في المركز الأول. تلعب الوطنية دوراً أساسياً بالنسبة للمشاركين والمشاركات. وهذا يدل على استمرار هيمنة الأمة باعتبارها كياناً مقدساً تتلاشى أمامه كل الانقسامات. كما أنه يشير أيضاً إلى إيمان قوي بالتطوع؛ فإذا كان البلد محبوباً حقاً، فسوف يتحسن، والوضع غير الجيد، يعني أن بعض الناس لا يحبون البلد أو لا يحبونه بما فيه الكفاية.

لم أختر الاحترام لأنه يبدو أن هناك قيماً أكثر أهمية من الاحترام والأخلاق؛ وأضفت أشياء أخرى تحتاجها البلاد، خاصة في السياق الدولي الحالي؛ فالوطنية تأتي أولاً. (ذكر، 29 سنة، مدينة القيروان)

يجب على الناس أن يحبوا وطنهم حتى يتمكنوا من تغييره. (أنثى، 22 سنة، الكبارية)

إذا تحدث الناس بشكل سيئ عن تونس فهذا بسبب ساستنا. (ذكر، 29 سنة، الكبارية)

تقييم الحياة السياسية

الماضي

مرّ أكثر من عقد على الثورة التونسية؛ ويمكننا القول إن الثورة التي كان أغلب قادتها من الشباب والشابات قد فشلت في إشراك الشباب في السياسة الرسمية، سواء عن طريق التصويت أم من خلال الانضمام إلى حزب سياسي. وبما أن البلاد تمر بمرحلة انتقالية تحت قيادة شخص يدّعي أنه يتحدث باسم الشباب والشابات - وقد حصل هو نفسه على العديد من أصوات الشباب والشابات - فمن المفيد النظر في علاقاتهم/ن بسياسة اليوم. ولذا قررنا أن نفحص هذه المسألة في مداها الزمني؛ فبدأنا بسؤال المشاركين والمشاركات عن آرائهم/ن حول نظام بن علي، وفي تلك المرحلة ظهر موقفان مهمان تجاه هذا السؤال؛ بالنسبة لبعض المشاركين، كان النظام السابق يمثل فترة من الاستقرار النسبي والأمن الاقتصادي. ولكن على النقيض من وجهات النظر هذه، واجهنا مجموعة أخرى من المشاركين والمشاركات قدموا/ن شهادات مؤثرة حول انتهاكات ذلك النظام.

يوماً بعد يوم، ينحدر مستوى ثقة الشباب والشابات التونسيين في أن التحول الديمقراطي قادر على تحقيق مطالبهم/ن المتمثلة في «العمل والحرية والكرامة»،[42] حتى أن بعضهم يستبد به الحنين إلى نظام بن علي، وهذا الشعور بالحنين إلى النظام السابق آخذٌ في التزايد بين الشباب والشابات من كلا الجيلين. لقد ذكرت عبارة «الأمن والأمان»[43] كثيراً خلال مجموعات التركيز، وهي عبارة ترمز إلى كيف كانت الحياة في عهد بن علي، مع تجاهل واضح لانتهاكات النظام السابق وبيئته القمعية. كما ذكر كثيرون انخفاض تكاليف المعيشة خلال تلك الفترة. ولذا من غير المستغرب أن تتشكل آراؤهم/ن حول ذاك النظام في ضوء الوضع الحالي؛ فتكاليف المعيشة المنخفضة تتناقض مع التضخم المتوحش المنتشر اليوم، ويقف توافر السلع كصورة النقيض أمام الندرة المزمنة للسلع في يومنا هذا. وبشكل عام، فإن انخفاض الأسعار والاستقرار العام هو أكثر ما يفتقده المشاركون والمشاركات من تلك الحقبة.

> *بن علي يعني «الأمن والأمان». صحيح أن الأوضاع كانت مرهقة لكننا كنا في وضع آمن. إذا ذهبت لشراء البقالة، ستجد ما تحتاجه. وأنا هنا لا أتحدث عن السياسة، فهذا موضوع آخر. فهذا هو عملهم (تقصد السياسيين). لكن على الأقل عندما تخرج من بيتك لم تكن خائفاً. في أحد الأيام، كنت عائدة إلى المنزل مع والدتي، تحرش بي رجلان على دراجة نارية. (أنثى، 30 عاماً، حاجب العيون)*

> *فيما مضى؛ كانت أسعار المواد الغذائية في متناول الجميع. ولكن مستويات المعيشة تغيرت. في السابق، كانت لدينا استثمارات وتعاون مع دول أخرى، كان لدينا استقرار اجتماعي، وكان الاقتصاد مزدهراً. وكان هناك ما يحفزنا لنكون منتجين. الآن، نحن غارقون في الديون. (أنثى، 23 سنة، الكبارية)*

يحمل الحنين إلى فترة حكم بن علي في طياته – بصورة دقيقة – العديد من المُثُل السياسية. وبشكل أكثر تحديدًا؛ أشار البعض إلى مفهوم معين للدولة، سواء باعتبارها كياناً محترماً في الدوائر الدولية، أم كياناً مرهوباً على المستوى الوطني (كما هو الحال مع الناس الذين يخافون من ارتكاب الجرائم). واجهنا أيضاً الحنين الذي يرى في بن علي شخصاً يهتم بالفقراء، ولا يضطهد إلا الأغنياء والنافذين، وهو حنينٌ يضفي على بن علي لمحة من شخصية «روبن هود» الذي يحرص على أن يتمتع «الفقراء» بظروف معيشية جيدة. هذه الخطابات المثالية هي بالطبع كاذبة، ولكن يجب الانتباه إليها لأنها تحمل بصورة دقيقة القيم المرغوبة: هيبة الدولة على المستوى الدولي - أي الاعتراف الدولي - والاستقرار والأمن الاجتماعي، والحاكم العادل رغم النظام الظالم، وما إلى ذلك.

> *كان يخفّض الأسعار؛ ويساعد المجتمعات الفقيرة؛ ويهتم بها ولم يحاول قمعها. قرأت عنه على وسائل التواصل الاجتماعي. (ذكر، 19 سنة، الكبارية)*

> *نحن أقل أماناً مقارنة بالعهد السابق؛ كانت قبضة النظام السابق قوية، وكان الناس يخشون الذهاب إلى السجن والعقاب، وما إلى ذلك. ولكن الآن فكل هذا لم يعد يؤثر فيهم. (أنثى، 21 سنة، الكبارية)*

> *أنا أحترمه، رحمه الله. كان دكتاتوراً، ولكن مع الأغنياء فقط. بـ 10 دنانير كان يمكنك أن تشتري حاجتك من البقالة ويتبقى لديك مبلغ من المال. كان يتمتع بمكانة مرموقة بين الدول الأخرى، وكان مُهاباً، وقام بمبادرات مع دول أخرى، وذهب إلى مؤتمرات القمة. ماذا نسمي ذلك؟ علاقات دبلوماسية. لقد بنى لنا مترو الأنفاق. لقد كان أفضل رئيس. المفضل لدي هو قيس، لكن بن علي هو الأفضل على الإطلاق.*

أما جيل الألفية فقد أفصح عن فهم أكبر لتلك الصفقة الاستبدادية، إذ أعرب بعض المشاركين - ومعظمهم من جيل الألفية - عن وعيهم بكيفية عمل النظام السابق. لقد استُخدمت سيطرة الدولة على الاقتصاد لتعزيز الهدوء والاستقرار السياسي. لقد كان الأمر أشبه بعقد ضمني بين الدولة والمجتمع يتم بموجبه استبدال الاستقرار الاقتصادي النسبي بالاحترام السياسي[44] حيث يترك المواطنون السياسة للسياسيين، في مقابل حصولهم على ظروف معيشية كريمة.

في المقابل، استذكر بعض المشاركين قصصاً عن النظام الاستبدادي السابق، مسلطين الضوء على سنواتٍ من سوء الحكم والانتهاكات.

> *نسمع هذه الأفكار باستمرار «بن علي أطعمنا» و«بن علي حافظ علينا»؛ لكن حدثت مظالم كثيرة في عهد بن علي، يمكنني التحدث عنها حتى الغد. (ذكر، 33 سنة، الكبارية)*

> *كان نظام بن علي فظيعاً؛ حيث كانت «الطرابلسية» تسيطر على الاقتصاد، ولم يحقق العدالة الاجتماعية. نحن نسمع الناس يقولون إن الطعام كان أرخص (مع ذكر سعر كيلو الموز في ذلك الوقت). لكن علينا ألا ننسى خطاب الدولة القمعي الذي أبقى الناس سلبيين. لم تكن هناك عدالة. عانت المحجبات كثيراً ولم تتمكن من الذهاب للدراسة. (ذكر، 18سنة، الكبارية)*

لا تزال صورة الأنظمة السابقة في الذاكرة الشخصية والجماعية للمشاركين والمشاركات مختلطة ويكتنفها الكثير من الغموض؛ وهذا ما يجبر الناس على الانحياز إلى السردية الرسمية، وهي السردية المتاحة لهم/ن. في تونس، تستمر عملية إعادة اختراع الماضي وبنائه بطريقة تثير الحنين إليه. وفي عام 2016، أعيد تنصيب تمثال الحبيب بورقيبة في وسط مدينة تونس على الشارع الذي أطلق عليه

اسمه. وفي حين أن الآثار القليلة التي تحتفل بالثورة كانت تختفي ببطء، فقد تم إحياء ذكرى الدكتاتور السابق باعتباره رمزاً سياسياً في مرحلة ما بعد الثورة لخدمة مجموعة من الأجندات. وهذا مثال واضح آخر على كيفية توظيف الدولة للذاكرة الجماعية وتنظيمها سياسياً في ذلك الوقت.

ومما يزيد من هذا الحنين أو يعمّق ما نسميه «فقدان الذاكرة الجماعي»[45] هو غياب الإصلاحات التعليمية، وبطء عملية إقحام تلك الرموز في الذاكرة وتخليد ذكراهم. هناك حاجة إلى تحدي «احتكار الحقيقة الديكتاتورية من خلال الحقائق الحية التي لا تعد ولا تحصى للأشخاص الذين عانوا في ظل الديكتاتورية».[46] وفي تونس، حققت هيئة الحقيقة والكرامة[47] إنجازاً جديداً من خلال بث جلسات الاستماع العامة التي عقدتها، وتوفير سجل لتاريخ البلاد من انتهاكات حقوق الإنسان، ومنحت الأصوات المعارضة الاعتراف الذي كانت في أمس الحاجة إليه. ومع ذلك، فإن سلسلة توصياتها الضحلة ذات التوجه الإصلاحي بشأن الحفاظ على الذاكرة كشفت حدود قدرتها على إحداث التغيير.[48] على سبيل المثال، لم يُشرَك المعلمون في وقت مبكر من عملية العدالة الانتقالية، حتى يكون بإمكانهم استخدام مهاراتهم وقدرتهم على الابتكار وإيجاد طرق تدريس إبداعية لتطوير الكتب المدرسية الموجودة أو تكميلها. ومن ثم فإنهم يواجهون عقبة كبيرة، حيث يتعين عليهم تدريس الكتب المدرسية التي كانت موضوعة في الحقبة الاستبدادية. ومن الأهمية بمكان النظر في مراجعة المناهج المدرسية، ودمج دراسة التاريخ الحديث للأمة، وتعزيز البرامج المدنية باعتبارها تدابير حيوية لإدخال مفاهيم وسلوكيات جديدة تتعلق بالمواطنة الديمقراطية.[49] ومن هنا لا يزال لقطاع التعليم والثقافة دور كبير ليضطلع به في مساعدة الجيل القادم على التصالح مع ماضي تونس الاستبدادي.

الحاضر

بينما نستمر في فهم انخراط الشباب والشابات في السياسة، فإن أسئلتنا ترتبط أيضاً بالسياق الحالي. لقد كنا مهتمين بشكل خاص بفهم ما إذا كانت تصوراتهم/ن حول استيلاء الرئيس سعيد على السلطة قد تطورت منذ عام 2021، وما تقييمهم لأدائه حتى الآن، واستكشاف مخاوفهم/ن الحالية وسط مرحلة من الاضطرابات السياسية المستمرة. لقد صممنا السؤال خصيصاً لجمع تصورات الشباب والشابات ليلة 25 تموز/يوليو 2021 والآن.

في النسخة الأولى من المشروع (2021-2022)، أولى المشاركون اهتماماً خاصاً بقيس سعيد، الذي طُرح اسمه في كل مجموعة تركيز. وكان يُنظر إليه على أنه متميز عن الشخصيات السياسية الأخرى، ويوفر آفاقاً واعدة لمحاربة الفساد. بيد أن المشاركين والمشاركات في 2023 شعروا/ن بخيبة أمل متزايدة إزاء أداء الرئيس.[50]

رأى المشاركون في الانقلاب بداية جديدة. وبالعودة إلى ليلة الانقلاب، رأى العديد من المشاركين والمشاركات في خطاب سعيد - وخاصة قراره بحل البرلمان - بداية جديدة لمعظم الشعب التونسي. وتتفق وجهة نظرهم/ن مع ما جمعناه خلال مجموعات التركيز لعام 2021، وبشكل عام، مع الاستطلاعات. كانت الثقة في مجلس نواب الشعب منخفضة نسبياً، حيث بلغت معدلاتها ٪18 فقط في شباط/فبراير 2021، و٪19 في أيار/مايو، و٪17 في تموز/يوليو، وفقًا لما أوردته Sigma Conseil[51] وعلى مدى العقد الماضي، أدت الامتيازات والحصانة القانونية التي يتمتع بها أعضاء مجلس النواب إلى تعميق المشاعر المناهضة للبرلمان. كما أن البرلمان نفسه تحول إلى مكان للخلافات والتناحر الجسدي بين الأحزاب السياسية.

كنت سعيدة في تلك الليلة، لأن ذلك السيرك الذي كان محسوباً علينا باسم البرلمان قد انتهى؛ لم يكن برلماناً بل حظيرة حيوانات. لقد نظرنا إلى الأمور بطريقة ثم رأيناها بطريقة أخرى. النهضة كانت تعبث بالبرلمان. ومن ثم فإن إغلاق البرلمان، ورؤيتهم أمام الأبواب المغلقة، أسعدني وشاركته على الفيسبوك. لأن ذلك الإغلاق عاشه العاطلون عن العمل، وعاشه الذين سُلبت حريتهم. لقد عاشه كثير من الناس. كنت سعيدة في تلك اللحظة. (أنثى، 32 سنة، حاجب العيون)

لقد فعل ما أراد منه الناس أن يفعله. أما البرلمان فقد فعل كل شيء إلا ما أراده الشعب منهم. (ذكر، 26 سنة، الشبيكة)

مع ذلك، فإن عدم حدوث أيّ تغييرات يؤدي إلى فقدان سعيد لشعبيته. فعلى الرغم من أن غالبية المشاركين والمشاركات كانوا راضين/يات عن حل البرلمان، فقد أعرب معظمهم/ن حالياً عن خيبة أملهم/ن في سعيد. إذ لم يلمس بعضهم/ن أيّ تغيير، بينما يعتقد آخرون أن ما يحدث هو استعادة صريحة للأساليب ذاتها التي أدانوها خلال مرحلة التحول الديمقراطي. في حين يرى آخرون أن المشكلة تكمن في عدم الوضوح. وهكذا، أخذت شعبية قيس سعيد تتراجع تدريجياً بين الشباب والشابات الذي أدوا/ن دوراً حاسماً في حملته الانتخابية في تشرين الثاني/نوفمبر 2019، والذين كان لديهم/ن آمال عريضة في سياساته التي تنطلق من القاعدة.

بالمثل، أعرب المشاركون والمشاركات عن تشككهم/ن في نهجه غير المتسق وانتقدوا/ن صراحةً المجلس الوطني الجديد، الذي ذكرهم بالهيئة السابقة المتمثلة في مجلس نواب الشعب. واللافت هنا هو أن بضعة مشاركين ومشاركات فحسب أعربوا/ن عن قلقهم/ن من القمع المتواصل الذي يمارسه نظام سعيد ضد الخصوم السياسيين والصحفيين والنشطاء في المجتمع المدني. فقد أبدى عدد قليل للغاية خوفهم/ن من عودة النزعات الاستبدادية وجاء ذلك الرأي مدفوعاً بعوامل أقدم وأكثر تسيساً.

ظننت أن عملية المساءلة ستبدأ، وأن الأمور ستتغير. لكننا وصلنا إلى أدنى مستوى. وحالياً، بات قيس سعيد يستهدف المجتمع المدني الذي ساعده خلال جائحة كوفيد19-. (أنثى، 24 عاماً، مدينة القيروان)

إذا أردت تحقيق ذلك، يجب عليك تغيير النظام برمته، لأنه إذا أردت الشروع في المحاسبة، فيجب أن تتوافر لديك العدالة والقوانين. لكن ما الذي يفعلونه هناك؟ يتسترون على بعضهم. فبمجرد وصول قيس سعيد إلى السلطة، بدأت تتشكل مجموعات، إما من زمرة زوجته أو المعارضون لزوجته وشقيقتها. (ذكر، 33 عاماً، مدينة القيروان)

غيرت رأيي (في قيس سعيد) لأنه في أحد الأيام كنت أشاهد جلسة للبرلمان على التلفاز بينما يقومون بصياغة مجموعة من القوانين. وتحول البرلمان إلى سيرك كما هو معتاد، فقد كان النواب متغيبين، وحلت الفوضى. السيناريو ذاته يتكرر. (أنثى، 29 عاماً، مدينة حاجب العيون)

لجأت الدولة إلى أساليب قمعية عديدة بعد قرارات 25

تموز/يوليو. بدا الأمر وكأنه تحول إلى ديكتاتورية ناعمة. (ذكر، 26 عاماً، الشبيكة)

نعيش في محاكاة اقتبسناها من مكان آخر. فنحن نكرر السيناريو المصري شيئاً فشيئاً. يمكن لِقيس سعيد أن يدعي أنه ليس ديكتاتوراً أو مستبداً، لكن هذا ما سيحدث. لكن بالطبع على الطريقة التونسية، لذا فإن الأمور ليست بيد الجيش حالياً، لكننا نتجه إلى هذا المصير. وكأننا دمى تسير مع التيار دون إدراك حتى لِطبيعة الموقف بالكامل. والحريات... اعتدنا السخرية من بلدان مثل مصر حيث توجد طوابير لكل شيء، لكننا لا نملك غذاء ولا دواء الآن. (ذكر، 35 عاماً، حاجب العيون)

علاوة على ذلك، لاحظنا أن الشعبية أو عدمها، ترتبط مباشرةً بالمشاركة في الانتخابات: فمن لا يزال يصدق سعيد، لا يزال يصوت، أمّا من بات أكثر تردداً، فقد توقف عن التصويت في مرحلة ما بعد الانقلاب.

المستقبل

بعد عامين تقريباً على انقلاب سعيد، يرى معظم المشاركين والمشاركات أن خطته لإخراج تونس من مأزقها لا تزال غير واضحة المعالم. وشأنهم/ن شأن كثير من الشباب والشابات التونسيين، لا يزال المشاركون والمشاركات في انتظار الشروع في إجراء الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ذاتها. لكن وبينما أعرب غالبيتهم/ن عن عدم الثقة والخوف من المستقبل، لا يزال عدد قليل من المشاركين والمشاركات متفائلين ويراقبون الموقف دون تحيز.

لا يمكنك إصلاح بلد في عامين. لا تستطيع أصلاً بناء منزل في عامين، ناهيك عن بلدٍ بحالها. (ذكر، 27 عاماً، الكبارية)

من غير الواضح ما الذي يعتزم قيس سعيد فعله. هل سوف يجري انتخابات مبكرة؟ هل سوف يتحدى المشهد السياسي الحالي؟ كنت راضٍ عن حل مجلس النواب وتمنيت حدوث تحول في السلطة. (ذكر، 18 عاماً، الكبارية)

وعند سؤالهم/ن عن رؤيتهم/ن بشأن المشاركة السياسية في المستقبل، أعرب غالبية المشاركين والمشاركات عن خيبة أمل متزايدة في النظام السياسي وعدم اكتراث بالأحزاب والسياسيين. فهم يشعرون بأنهم/ن مستبعدون من الساحة السياسية ولا يرون أيّ مستقبل لهم/ن على هذه الساحة. على الرغم من الزيادة غير المسبوقة للأحزاب السياسية منذ اندلاع الثورة (مع تأسيس أكثر من مئتي حزب)، فقد واجهت الأحزاب صعوبة في التفاعل والإبقاء على شعبيتها وسط الجمهور، ناهيك عن الشباب والشابات منهم/ن. وفي عام 2019، جدد انتخاب قيس سعيد اهتمام الشباب والشابات بالسياسة مع تبنيه خطاباً مناهضاً للسلطة. فقد كان معارضاً لِلهيكل الحزبي التقليدي. وشارك الشباب والشابات غضبهم تجاه النظام السياسي.

لهذا فقد نجح في اجتذاب مجموعات شبابية متنوعة من خلال تقديم خطاب يتجاوب مع احتياجاتهم ومطالبهم. وبعد مرور عامين على انقلابه، ثمة فجوة كبيرة للغاية بين ما تعهد به خلال حملته الانتخابية وبين الوضع الحالي. وبدأ الشباب والشابات ينسحبون من المشهد السياسي بعد خيبة أمل أخرى في سعيد، الذي تمكن من جعلهم/ن يلتفون حوله لكنه خسر دعمهم/ن تدريجياً.

مثل كثير من الشباب المحبط، يتجنب المشاركون والمشاركات الانخراط في السياسة المؤسسية مع تراجع مشاركتهم/ن في الأحزاب السياسية شيئاً فشيئاً.

لا أشعر أن الظروف تسمح بالمشاركة في الحياة السياسية. (أنثى، 23 عاماً، الشبيكة)

لا أظن أنني قد أنضم في المستقبل القريب لأيّ حزب سياسي. (ذكر، 36 عاماً، الشبيكة)

أضاعت الحياة السياسية في تونس فرصتها، لأن الناس فقدوا الثقة في السياسة والسياسيين. (ذكر، 29 عاماً، مدينة القيروان)

لا تعتمد المشاركة السياسية على ما إذا كنا نتمتع بنظام ديمقراطي أو مشهد متعدد الأحزاب. بل ترتبط أكثر بِامتلاكنا لمشروع. تكمن المشكلة التي واجهتنا خلال السنوات العشر الأخيرة في عدم امتلاك غالبية الأطراف الفاعلة سياسياً لمشروع واضح. (ذكر، 32 عاماً، الكبارية)

إذا قررت الانخراط في السياسة الآن، فإن هذا بلا طائل. لأننا لا نتمتع بالديمقراطية. والدولة ليست منظمة. وطريقة عملها ليست فعالة. لهذا لن نشهد أيّ تغييرات كبيرة. (ذكر، 18 عاماً، الكبارية)

ربط التجربة اليومية بالسياسة: التوقعات المرجوة من خدمات الدولة وتقييمها

النقل والمواصلات

فيما يتعلق بالنقل والمواصلات، يظل الوضع على ما هو عليه من ناحية الزمان والمكان: إذ لا تزال الخدمة سيئة في المناطق الحضرية والريفية على حدٍ سواء.

ندرة وسائل النقل العامة. تتمثل الشكوى الأساسية في ولاية القيروان في ندرة المواصلات العمومية داخل الولاية. وعلى الرغم من أن المسافات بين بعض المدن والقرى ليست كبيرة (مثلاً، تبلغ المسافة بين مدينتي الشبيكة والقيروان 16 كيلومتراً فحسب)، فإن نقص المواصلات العامة يزيد من تعقيد التنقلات. تعمل خطوط المترو الخفيف (الترامواي) في معتمدية الكبارية منذ عام 1985، وهو ما يعد نوعاً من الامتياز بالنسبة لِمدينة تنمو أسرع بكثير من شبكة النقل العام بها. لكن، وكما هو الحال في مدينة القيروان، فإن الكلمة التي تتردد كثيراً هي الندرة.

تؤكد ملاحظاتنا ذاتها على هذه الندرة. إذ تقع غرفة مجموعة التركيز مقابل محطة المترو، حيث يمكننا سماع صوت وصول المترو بوضوح. مع ذلك، نادراً ما يأتي المترو إلى المحطة. فقد استمعنا إلى صوت وصوله أربع مرات فحسب خلال ساعتين من أحد أيام السبت (أيّ مرة في الساعة لكل اتجاه)، ومرتين فحسب خلال ساعتين من أحد أيام الأحد. علاوة على ذلك، فإن المترو غير آمن، فقد أخبرنا أحد المشاركين عن وقوع حوادث تحرش وسرقة داخل المترو.

تؤثر ندرة المواصلات على حياة الناس. ففي معتمدية الكبارية، توضح شابة أنها توقفت عن الذهاب للجامعة التي تدرس فيها بسبب نقص المواصلات. إذ تستغرق الرحلة منها ثلاث ساعات ذهاباً ومثلها في العودة، أيّ ما مجموعه ست ساعات يومياً في المواصلات. بينما خسر مشارك آخر، من معتمدية الكبارية أيضاً، وظيفته نتيجة تأخره عن العمل بسبب المترو. يؤثر الاختفاء التدريجي للمواصلات العامة كثيراً على حياة الشباب والشابات، ويُشكل عقبة كبيرة أمام التعليم والعمل. وهو أمر ملفتٍ للغاية عند الأخذ في الاعتبار أن المسافات المعنية تعتبر صغيرة للغاية (مثلاً تبلغ المسافة بين معتمدية الكبارية والجامعة المقصودة 12 كيلومتراً فحسب).

عهد الشقاء. تؤدي صعوبات التنقل إلى بذل الشباب والشابات، في القيروان أو الكبارية، قصارى جهدهم/ن. ويخرج معظمهم /ن في وقت أبكر بساعات للوصول إلى حيث يريدون الذهاب في الموعد المحدد

إذا كان لديك موعد في العاشرة صباحاً في مدينة القيروان، فيجب أن تصل إلى محطة الحافلات في السادسة صباحاً. (ذكر، 36 عاماً، الشبيكة)

لا تزال معلمة شابة من مدينة القيروان، أجرينا مقابلة معها في عام 2021، تطلب توصيلها من السيارات الخاصة للذهاب إلى القرية النائية التي تُدرس بها. وعلى الرغم من أنها الآن تستفيد من خدمة السيارات الأجرة «اللواج» (تشبه الحافلة) التي تنقل المعلمين، لكنها تشتكي من التسلط الشديد للسائقين.

سأخبرك بالشيء ذاته الذي قلته لك قبل عامين. ما زلت أطلب من السيارات الخاصة توصيلي. صحيح أن لدينا الآن سيارات «لواج» تنقل المعلمين ذهاباً وإياباً. لكن السائق له سلطة عليّ أكثر من والدي نفسه. يجب أن أخرج من منزلي أبكر بساعة ونصف على الأقل للوصول في الوقت المحدد. (أنثى، 24 عاماً، القيروان)

وبالتالي فإن هذا الحل نقابي ويقتصر على فئة محددة، بما أن المشكلة تتعلق بالمعلمين. في الواقع، أخبرتنا بنفسها أنها عندما تطلب من السيارات الخاصة توصيلها بينما ترتدي زي المعلمين الأبيض، يتوقف السائقون ويسألونها عمّا إذا كانت طبيبة أم معلمة، وعلى هذا الأساس يقررون إيصالها أم لا في القيروان.

ما بين التمييز والإدانة. بينما يحاولون التأقلم مع هذه الندرة في المواصلات، يقع الشباب والشابات في معتمدية الكبارية ضحية أحياناً للتمييز. فقد اشتكى أحد المشاركين من أن سيارات الأجرة ترفض في بعض الأحيان الذهاب إلى الكبارية (متعللين بالخطورة الشديدة للطريق)، لكن يخالفه آخرون الرأي، قائلين إن سائقي سيارات الأجرة يتفهمون ذلك، لأنهم ينحدرون في الغالب من أحياء شعبية. يقابل هذا الحديث عن وطأة التمييز خطاب آخر يدين الناس أنفسهم. إذ تنقلب المشاكل من كونها «تتعلق بالفرد» إلى كونها «مرتبطة بالحي». مثلاً، قال أحد الشباب إن هذا خطأ السكان أيضاً:

يتسع المترو لعشرة أشخاص فقط، بينما لديك ألف شخص يحاولون الركوب (ذكر، 27 عاماً، الكبارية)

لكن هذه الملاحظة أثارت احتجاجاتٍ، فقد قال مشاركون آخرون إن الناس يريدون الذهاب إلى المدارس والعمل. ليرد الشخص نفسه قائلاً:

نحتاج إلى تفعيل نظام التذاكر. يقع اللوم هنا على وعي المواطنين، لسنا ملائكة، نحن أيضاً نلحق أضراراً بالدولة. (ذكر، 27 عاماً، الكبارية)

تناول شباب وشابات آخرون/يات من الكبارية فكرة ارتكاب المخالفات هذه (في هذه الحالة، عدم دفع ثمن التذكرة)، فقد أوضحوا أن الأطفال والمراهقين يقذفون المترو بالحجارة عند مروره في أحيائهم. وفي إشارة إلى المسؤولية التي تقع على عاتق الآباء، أوضحوا أنه إذا اشتكى الآباء باستمرار من المترو فمن الطبيعي أن يقوم أبناؤهم بقذفه بالحجارة. تأتي هذه التفسيرات في محاولة لتبرير مشكلة غياب خدمة عامة من الصعب توضيح سبب عدم وجودها ولا يمكن لأيّ شخصٍ إيجاد حل لها.

الصحة

يوجد إجماع على أسباب تدهور الخدمات الصحية. عندما يتعلق الأمر بالخدمات الصحية، فإن النتائج متطابقة في كل المناطق: ثمة تدهور واضح في الخدمات الصحية، سواء في العاصمة، التي يوجد بها أكبر عدد من المستشفيات العامة والجامعية في البلاد، أو في باقي الولايات. لكن من شهادات المشاركين، يبدو الوضع أكثر خطورة بكثير في مدينة القيروان. خلال اجتماعات مجموعة التركيز، أجمع المشاركون بشكل عام على أن المشكلة لا تكمن بصفة رئيسية في الطاقم الطبي، الذين يتمتعون في معظمهم بمستوى ممتاز ويبذلون قصارى جهدهم، وإنما تتعلق بالمرافق الأساسية، مثل عدم النظافة ونقص المعدات الطبية وعدم إجراء صيانة وما إلى ذلك.

بالنسبة لمعظم المشاركين والمشاركات، فإن مشكلة البنية التحتية هذه هي السبب وراء الهجرة الجماعية للأطباء التونسيين إلى الدول الأوروبية.

إضافة إلى ذلك، أشار كثير من المشاركين والمشاركات إلى المنح والمساعدات الطبية التي تلقتها الدولة خلال جائحة كوفيد19-، منوهين إلى أن هذه المساعدات كانت إما محجوزة في الجمارك أو لم تُستخدم. وهو ما يدل على انعدام الثقة في الدولة، مع تصور بأن المساعدات مخبأة ويجري احتكارها، وأن الدولة ليست في خدمة الجميع.

مر بعض المشاركين والمشاركات في إحدى مجموعات التركيز بتجارب مريرة للغاية في مرافق خدمات الصحة العامة، لهذا كانت تقييماتهم/ن هي الأكثر سلبية نظراً لِاضطرارهم/ن إلى تحمل تكلفة نقص المعدات وضعف البنية التحتية وعدم كفاية تغطية الضمان الاجتماعي بشكلٍ مباشر.

أصيبت إحدى أفراد عائلتي خلال الجائحة. ووصفت لها حقنة بمبلغ 22 ألف دينار كل أربعة أشهر. وتكافح عائلتها لدفع هذا المبلغ. (أنثى، 22 عاماً، الكبارية)

أتحدث من واقع تجربة شخصية، فقد فقدت أمي، ومررنا بالتجربة كاملةً. في يوم وفاتها، أخذناها إلى الطوارئ. وكان الوضع كارثياً في المستشفى الحكومي، مع عدم وجود دواء ومعدات. حتى الحمامات كانت متسخة. القطاع الطبي منهار في القيروان. حصلنا على تمويل ومعدات جديدة من المملكة العربية السعودية خلال جائحة كوفيد19- لكنها اختفت في مكانٍ ما. (أنثى، 24 عاماً، القيروان)

يفتقر القطاع الطبي لأشياء كثيرة. مثلاً نحتاج إلى معدات. ففي إحدى المرات، رأيت حادثاً واتصلت بالمستشفى في المنطقة لنقل الشخص المصاب. لكن لم توجد سيارة إسعاف متاحة لنقله. لهذا اضطررت إلى مكالمة شخص أعرفه لأخذ المصاب إلى المستشفى. (ذكر، 25 عاماً، الشبيكة)

كان والدي مريضاً واحتاج إلى نقله إلى مستشفى في القيروان. وكان يحتاج إلى جهاز أكسجين خلال نقله. لكن رفضت المستشفى تزويدنا بالجهاز. لهذا اضطررت إلى اقتحام سيارة إسعاف وسرقة أحدها. لكنني قمت بإرجاعه بعد أن طلبوا الشرطة. (ذكر، 36 عاماً، الشبيكة)

ومع عدم وجود معدات، كما هو الحال مع وسائل المواصلات، توفر سعة الحيلة حلولاً مؤقتة. لكن، مثلما تظهر الواقعة الثانية من الشبيكة، يتطلب الأمر تدخلاً استثنائياً، فأمام احتمالية فقدان أحد أفراد أسرتك بسبب نقص المعدات أو الرعاية، يجب على المرء اللجوء إلى طرق غير قانونية لإنقاذ الشخص المريض. وتمنحنا هذه القصة لمحة عن مدى المعاناة والعجز الناجمين عن نقص المعدات في المستشفيات العامة، أو حتى انعدام السبل عندما تحتاج إلى شراء أدوية مكلفة. ومن المثير للدهشة، أن أياً من المشاركين لم يتطرق إلى القطاع الخاص.

لم يتعرض هذا القطاع لأي نوع من المقارنة أو الإدانة. ثمة إحساس بالظلم، لكنه لا ينبع من فكرة المقارنة (أو مدى المساواة في تلقي الرعاية الصحية). وكانت المقارنة الوحيدة التي طرحت في هذا السياق هي عندما قارنت إحدى المشاركات المستشفيات الحكومية بالمسلسل الطبي الذي شاهدته.

يعاني الأطباء. يمكن أن تجد طبيباً واحداً فحسب في وحدة العناية المركزة. والقطاع غير مجهز بالمعدات اللازمة. والمستشفيات غير نظيفة. أشاهد مسلسل «الطبيب الجيد» ويمكنني ملاحظة الفرق. (أنثى، 24 عاماً، الكبارية)

تتيح لها المقارنة إمكانية القول إن الوضع في المستشفيات العامة التي تذهب إليها «غير اعتيادي»، لكنها لا ترقى إلى درجة إدانة الظلم الواقع عليها. بل في الواقع، يمكن القول إن الظلم الطبي - وحقيقة أن بعض الأشخاص يتلقون رعاية صحية أفضل من غيرهم - يبدو وكأنه بات أمراً عادياً.

في النهاية، وهذه حالة خاصة، أقر كافة الشباب من مدينة حاجب العيون، الذين سبق وأن حاورناهم في عام 2021، بتحسن في أوضاع مستشفى المدينة. وبالفعل، جرى تجديد قسم الطوارئ في الفترة بين عامي 2021 و2023. لكن أحد المشاركين ذكر أن هذا التجديد جاء بفضل المساعدات الإنمائية الألمانية.

تتهرب الدولة من مسؤوليتها. وتعتمد على المنظمات غير الحكومية، والمنظمات الدولية. أرى أموراً تتكفل بها الجمعية الألمانية للتعاون الدولي حالياً، كانت من مهام الدولة قبل 30 عاماً. الأسلوب الذي تنتهجه الدولة هو «لندع الجمعية الألمانية للتعاون الدولي تقوم بذلك»، «لندع المؤسسات تقوم بذلك». (ذكر، 35 عاماً، حاجب العيون)

كانت هذه هي المرة الوحيدة التي ذُكر فيها التخلي التدريجي للدولة عن الاضطلاع بالخدمات العامة. وفي هذه الحالة، جرى استحضاره بوصفه فشلاً في تلبية مستوى سابق من الخدمة، ومن غير المستغرب أن الشخص الذي أبدى هذا الانتقاد هو واحد من أكبر المشاركين معنا عمراً، أيّ أنه عاين مستوى آخر من الخدمة، يمكن مقارنة الوضع الحالي به والشعور بالخلل الحادث فيه.

التعليم

عندما تحول النقاش إلى النظام التعليمي، بدت الآراء أقل صرامة مقارنة بما كانت عليه في حالة النقل والصحة. يمكن تفسير ذلك بحقيقة أن بعض المشاركين والمشاركات، خاصة في مدينة القيروان، كانوا معلمين ومعلمات. وفي الواقع، اختلفت الآراء على حسب المنطقة، لكنها ظلت مُحددة للغاية (حول موضوع بعينه). مثلاً، أكثر من مرة، انحرفت النقاشات في مدينة القيروان لتتجه نحو تقييم بعض السياسات العامة التي تبناها ناجي جلول، وزير التعليم في تلك الفترة، في عام 2018، وقد أنشئ بموجب هذه السياسات فرعاً تربوياً تخصصياً يجري تعيين المتخرجين منه تلقائياً للعمل في المدارس (لكن دون تقاضي رواتبهم بصفة منتظمة أو حتى تثبيتهم، أيّ توقيع عقود دائمة معهم).[52]

وقد تخرج بعض المشاركين والمشاركات من هذا البرنامج ويفتخرون بذلك، فهو يجعلهم/ن متخصصين في العلوم التربوية، وهو ما يجعلهم/ن - من وجهة نظرهم/ن - مؤهلين أكثر من المعلمين الأقدم، الذين ليس لديهم تصور عصري عن علم التربية. وقد أقر زملائهم/ن بكفاءتهم/ن هذه، ودعموا هذا المفهوم العصري للعلوم التربوية، التي توصف بأنها أكثر قيمةً من المعرفة ذاتها.

تُعطى أولوية لعلم التربية بدلاً من المعرفة ذاتها نظراً لما ينطوي عليه هذا العلم من إمكانات جذرية فيما يتعلق بالممارسات التعليمية القديمة.

عندما تكون معلماً، فإن اهتمامك يكون منصباً إما على حياتك الشخصية أو المهنية، وليس كليهما. فقد درست الصف نفسه خلال السنوات الثلاث الماضية (اللغتين الفرنسية والإنجليزية للصف الثالث). وقررت تغيير كتيب القراءة، من خلال تحويل الفكرة الأساسية إلى رسوم كرتونية. يلجأ الجيل الجديد من المعلمين إلى أدوات مبتكرة في التدريس. ونراعي نفسية الطفل. لدي خمسة أطفال مصابين بالتوحد، من بين 35 طالباً آخرين. التعليم

يتحسن. (أنثى، 24 عاماً، مدينة القيروان)

مع ذلك، وعلى الرغم من كونه مصدراً قيماً يحظى بتأييد الزملاء، فإن هذا التدريب لا يوفر حماية في ظل حالة عدم الاستقرار: فالرواتب متدنية ولا تدفع بانتظام، ولا يجري سداد النفقات، مع وجود شكاوى في المواد التعليمية.

الشيء نفسه! لدي بطاقة شراء ائتمانية (وهو ما يعني هنا الاستدانة من البنك) أتعامل بها في المكتبة التي أشتري منها الأدوات وما إلى ذلك. فالتحضير التربوي والتعليمي مكلف. لهذا أنفق معظم أموالي على عملي. ولا يتبقى لي شيء في نهاية الشهر. (أنثى، 24 عاماً، مدينة القيروان)

ومع ذلك، بالنسبة لشخصٍ عاطل عن العمل، فإن هذا القسم الدراسي يعد رمزاً للظلم: إذ كيف يمكن تقبل فكرة أن الدولة تعين بصورة تلقائية المتخرجين من قسم دراسي معين بينما يظل كثيرون غيرهم عاطلين عن العمل لعقودٍ دون أيّ اهتمام بأوضاعهم من قِبل الدولة؟

هذا القسم الذي أنشأه ناجي جلول... ما الهدف منه عندما يقضي 20 عاماً عاطلاً عن العمل، بينما يحصل شخص آخر درس لثلاث سنوات على وظيفة؟ هذا حرام وظلم. (أنثى، 32، مدينة حاجب العيون)

وبينما ينظر إلى النظام التعليمي في مدينة القيروان ضمن سياق محدد، توجه إليه بعض الانتقادات في الكبارية. وتستحوذ المناهج على معظم الانتقادات هنا: فهي قديمة ولم تُحدَث منذ فترة طويلة، لهذا يمكن للمرء أن يجد المسائل نفسها التي درسها في كراسات أبناء إخوته. علاوة على ذلك، غالبًا ما تكون الأوساط التعليمية هي الأماكن التي يُعثر فيها على الظلم:

في جامعتي، كان الطلاب ودودين في البداية. ولكن عندما نتعرف على بعضنا البعض بشكل أفضل، وأخبرهم أنني من الكبارية تتغير معاملتهم. (ذكر، 32 عاماً، الكبارية)

خاضت إحدى قريباتي الصغيرات اختباراً. ومن حضروا دروساً خاصة مع المعلم، كانوا يعرفون الامتحان بالفعل، أمّا من لم يحضروا هذه الدروس معه، فقد كان امتحانهم لا يمت بصلةٍ لما شرحه هذا المعلم لهم في المدرسة. لكن ما الذي يمكنك فعله في هذا العمر الصغير؟ أيمكنك أن تشكو معلم في هذه السن؟ (ذكر، 24 عاماً، الكبارية)

الشرطة

ثمة علاقة متناقضة بين العنف الرمزي والإقرار به. ربما يكون جهاز الشرطة هو الهيئة الحكومية صاحبة أكثر علاقة متضاربة مع سكان الكبارية. فمن ناحية، يدرك الشباب والشابات الذين حاورناهم/ن أن دور الشرطة هو وضع حدود مكانية واضحة بين أحياء الطبقة العاملة وأحياء الطبقة الغنية. مثلاً، حكى لنا بعض الشباب والشابات الذين حاورناهم/ن عن تجاربهم/ن مع عمليات التفتيش العشوائية التي تجريها الشرطة في الأحياء الغنية.

بعد الثورة، أصبحت منطقة «المنزه» أكثر تنوعاً بسبب قربها من بعض الأحياء الشعبية مثل العمران والجبل الأحمر وغيرها. وتقع إحدى هذه المناطق الشعبية خلف المستشفى المحلي بأريانة، ويذهب سكان هذه المنطقة إلى حي النصر لسرقة الناس. لهذا فقد حققوا معي لثلاث ساعات، ظناً منهم أنني قد أقوم بعملية سرقة. (ذكر، 29 عاماً، الكبارية)

ذكر، 24 عاماً: لا نسرق سوى بضعة هواتف، لكنهم يسرقون ملايين الدينارات.

المُيسر: لماذا كنت موجوداً أصلاً في مركز الشرطة؟

ذكر، 29 عاماً: من الشائع للغاية أن يسألونا عمّا نفعله في تلك الأحياء.

أنثى، 20 عاماً: نعتبر هذا أمراً عادياً.

ذكر، 24 عاماً: اعتدنا على هذا.

لكن هذا الوعي بالحدود الطبقية التي تسهم الشرطة في الإبقاء عليها لا يحول دون نشوء إحساس بالتضامن مع أفرادها. فقد أخبرنا الشخص ذاته الذي اضطر للبقاء في مركز الشرطة لثلاث ساعات، والذي لم يفعل أيّ شيء عدا الوجود في أحد الأحياء الغنية، أن:

كثيراً ما تعرضت لظلم من أفراد الشرطة، لكنني أعارض ممارسة العنف معهم. يوجد شرطي في كل عائلة، حتى أن أخي شرطي. (ذكر، 29 عاماً، الكبارية)

تحتل الهوية الطبقية والاحترام أهمية أكبر من السياسة. جاءت هذه الإجابة رداً على صورة عرضناها لمتظاهرة شابة تلقي طلاءً على ضباط الشرطة التونسية، ثم سألنا الشباب عن رأيهم في هذه الصورة. التقطت الصورة في كانون الثاني/يناير من عام 2021 في شارع الحبيب بورقيبة. وقد انتشرت الصورة على نطاق واسع، وأثارت غضباً بسبب ما اعتبر أنه اعتداءً على كرامة ضباط الشرطة وعدم احترام واضح من المتظاهرين لجهاز الشرطة. وعلى ما يبدو فإن الشباب في الكبارية، على الرغم من تعرضهم بصورة مباشرة لتعسف الشرطة، لا يعتبرون أنفسهم من شباب العاصمة الذين ينتمون للطبقة الوسطى والذين يناهضون العنف الذي تمارسه الشرطة.

يرجعنا هذا إلى النتيجة الأولية التي توصلنا إليها، وهي أن الشباب والشابات لا يشكلون فئة متجانسة: إذ تترجم الانقسامات الجغرافية والطبقية (التي غالباً ما تجتمع معاً) إلى خطابات تمييزية حول مدى تمتع الشباب والشابات بالاحترام. لذا، عند مواجهة الشاب بهذه الصورة، ومع أنه أقر بتعرضه لكثيرٍ من الظلم على أيدي أفراد الشرطة، إلا أنه يرفض ممارسة العنف معهم (وهو عنف يمكن اعتباره رمزياً في معظمه). لذا يعتبر أن هذه الفتاة لا تحترم أفراد الشرطة. واللافت هنا، هو أنه يواصل القول إن شقيقه شرطي، وأن كل شخص في الحي لديه فرد من عائلته يعمل في جهاز الشرطة.

وبالتالي، عندما تُعرض أمامه صورةً لشابة من الطبقة الوسطى تعارض الشرطة، فإنه يتعاطف مع الشرطة انطلاقاً من القرب الاجتماعي والعائلي. يمكننا القول هنا إنه وفقاً لِمفهوم احترام الجهاز ورفض العنف، فإن الطبقة الاجتماعية هي صاحبة السيادة: فالأصل الاجتماعي المشترك مع أفراد الشرطة والقدرة على التعاطف معهم، يتفوق على أيّ نضال افتراضي مشترك ضد عنف الشرطة.

لكن إضافةً إلى أهمية الطبقة الاجتماعية، يُظهر هذا أيضاً أن التحلي بالاحترام في المجال العام، خلال عرض المرء لمطالبه السياسية، يُعد أمراً مهماً بالنسبة للشباب والشابات. يؤكد هذا على استنتاج استخلصناه بالفعل عام 2021، وهو أن الشباب والشابات يستبعدون بعضهم/ن البعض من خلال شجب طريقة توجيه المطالب للدولة، وليس فقط من خلال التمييز بناءً على الطبقة الاجتماعية أو الامتثال للقيم.

وقد قررنا عرض هذه الصورة بالتزامن مع صورة أخرى لرجل في الخمسينيات من عمره يحمل لافتة تحتج على التطعيم الإجباري ضد كوفيد19-. واخترنا هاتين الصورتين عن قصدٍ. وعلى الرغم من أن الصورة الثانية تظهر متظاهراً سلمياً يحتج على إجراء صحي يهدف إلى حماية السكان، فإن الهدف من احتجاجه لن يلفت نظر أيّ من المشاركين. ففي مدينتي القيروان والكبارية على حدٍ سواء، رأى المشاركون أن الصورة تمثل طريقة «متحضرة» وسلمية ومناسبة لِمطالبة المرء بحقوقه. لكن أحداً لم يتطرق إلى حقيقة أن هذا الرجل الكبير في السن كان يحتج على شيء يلحق أضراراً بالصحة العامة. علاوة على ذلك، فقد أثار الشباب مسألة الاحترام عند حديثهم عن احتجاجاتهم.

مسارات الشباب ورغبتهم في الانتقال إلى مكان آخر: كيف يتصور الشباب مستقبلهم

المستقبل المهني

لم تعد الخدمة المدنية تجتذب الشباب والشابات. عند الحديث عن مستقبلهم/ن المهني، نلاحظ خلافاً واضحاً بين من ظلوا عاطلين/ات عن العمل لفترة طويلة ولا يزالون ينتظرون وظيفة من الدولة، وغيرهم/ن ممن أعربوا/ن عن ازدرائهم/ن من مثل هذا التوقع. ففي مدينة حاجب العيون على سبيل المثال، أدى ذلك الخلاف إلى مشادة بين شخصين دون عمل. فمن جهة، لدينا شابة عاطلة عن العمل منذ ست سنوات تبلغ من العمر 32 عاماً، وقد عادت إلى صفوف الدراسة مجدداً أملاً في العثور على وظيفة، وترى أنه بمجرد الانتهاء من الدراسة، فمن واجب الدولة توفير وظيفة لك.

وعلى العكس منها، لدينا شاب يبلغ من العمر 25 عاماً أنهى دراسته للتو، وهو أيضاً عاطل عن العمل، لكنه يعمل بشكلٍ مستقل، ويرى أنه في ظل الوضع الاقتصادي الراهن، من العبث انتظار وظيفة من الدولة، وأنه يجب علينا بدلاً من ذلك «الاعتماد على أنفسنا»، مع الاعتقاد بأنه لا شيء مستحيل في عصر التكنولوجيا الرقمية والعمل الحر. وفي هذا النقاش تحديداً، تبدو الفجوة بين الأجيال عنصراً مهماً. فمن ناحية، يوجد شخص نشأ في عصر كانت مطالب الخريجين العاطلين عن العمل تحظى فيه ببعض التعاطف والاهتمام، ومن ناحية أخرى، يوجد شخص نشأ في فترة أصبحت فيها ريادة الأعمال الفردية أمراً مستحباً ومرغوباً.

مثلاً، لاحظنا أنه باستثناء الأشخاص الحاصلين على درجة البكالوريوس في التربية (والتي نظرياً تمنح حاملها فرصة للحصول على وظيفة في التدريس بعد التخرج)، لم يحاول أحد التقديم على وظائف في الخدمة العامة من خلال «مسابقات» التوظيف سوى المشاركين والمشاركات الذين ينتمون لجيل الألفية. في حين نادراً ما انجذب المشاركين والمشاركات من جيل زد إلى وظائف الخدمة العامة، إذ إن من يدرسون ليصبحوا/ن موظفين وموظفات حكوميين/ات (مثل من يدرسون القانون ليصبحوا مُحضري محاكم أو موثقين قانونيين) هم/ن فقط من ينتظرون توظيفهم/ن من قبل الدولة ويأملون في حدوث ذلك. أما باقي المشاركين من جيل زد، فيطالبون بأمورٍ مثل تحسين سوق العمل عموماً (لكن هذا بالنسبة لهم لا يعني بالضرورة توقع توظيفهم في الدولة)، أو توفير أوضاع أفضل، سواء من ناحية البنية التحتية أم الموارد المالية لتشجيع مشاريع ريادة الأعمال.

وفي حين يفضل كثيرون ريادة الأعمال. فقد تحدث كثير من المشاركين والمشاركات - من كلا الجيلين - عن العقبات الإدارية التي تقف في طريق من يرغبون في إقامة مشاريع تجارية. إذ تشكل الدولة عقبة بالنسبة لهم، بسبب تعقيداتها الإدارية من جهة. وأيضاً، بسبب تشدد سياساتها النقدية، من جهة أخرى، التي يستحيل معها مثلاً فتح حساب على موقع «باي بال» (PayPal).

الهجرة

لم تعد الرغبة في الرحيل محل شكٍ. مقارنة بالبحث الذي أجريناه قبل سنتين، تمثلت أول ملاحظة لفتت انتباهنا في الاختفاء شبه التام للمحادثات التي شككت في الرغبة في الهجرة، بحجة أنه من الضروري البقاء في البلد لتطويرها. وبينما لا يرغب الجميع في الهجرة، إلا أن من يرغبون فيها لم يعد يتملكهم إحساس بالذنب. علماً أن اختفاء مثل هذا الخطاب ليس محض صدفة: إذ لا يوجد أيّ أفق اقتصادي، ويبدو أن البلاد تنزلق إلى وضع خطير أكثر من أي وقت مضى. وقد قوض التضخم القدرة الشرائية لمعظم السكان، الذين انخفضت مستويات معيشتهم.

وحتى التوقعات الإنمائية في البلاد، التي كانت حتى عامين ماضيين لا تزال تعتبر قادرة على إحداث تطور، تبدو حالياً متعثرة للغاية. يتزامن هذا التغيُّر في الخطاب مع تغيُّر أنماط المهاجرين التونسيين غير الشرعيين الذين تحظر قوانين الهجرة الأوروبية دخولهم خلال السنوات الأخيرة: إذ لم يعد الشباب وحدهم هم من يهاجرون، بل بات لدينا شابات وأطفال وعائلات بأكملها من الطبقة الوسطى مستعدون لبيع ممتلكاتهم من أجل مغادرة البلاد.

أصبحت الهجرة الجماعية ملموسة. تبرز هنا حقيقة أخرى، تتمثل في حديث بعض الناس عن الفراغ الذي خلفته موجة الهجرة. مثلاً، أخبرنا شاب من الكبارية معتاد على الذهاب إلى جنوب البلاد عن مناطق باتت خالية من شبابها، وهو ما يتزامن مع الإحصائيات الخاصة بحالات مغادرة البلاد بطريقة غير مشروعة في هذه المناطق. وفي حالة أخرى، تحكي معلمة من قرية قريبة من مدينة القيروان عن كيفية رحيل نصف تلاميذها (وهي معلمة في المرحلة الابتدائية).

فقد مات كثير منهم، بينما احتجز آخرون في مراكز الإيواء. تؤكد رؤية الأحياء والقرى بل وحتى الصفوف الدراسية فارغة على حقيقة واقعة للهجرة نادراً ما يجري استحضارها. تتمثل في هذا العنف غير المعلن

الذي تتسبب فيه الهجرة غير الشرعية لمن لم يرحلوا: فالحديث عن الهجرة لا يتطرق إلى الإحساس بالفراغ والاعتياد على موت الأطفال الصغار.

تعد حالة هذه المعلمة من أكثر الحالات لفتاً للانتباه. فقد كانت مصممة على البقاء في البلاد عندما حاورناها قبل عامين، وذلك بسبب عملها. لكنها حالياً، وعلى الرغم من تثبيتها في وظيفتها (من خلال توقيع عقد دائم)، وتمتعها بالاستقرار الذي يحظى به الموظفين الحكوميين، فإنها ترغب في مغادرة البلاد إلى إحدى دول الخليج. صحيح أنها لا تولي اهتماماً خاصاً لفكرة المغادرة، لكن ذلك يبدو أمراً بديهياً لها في ظل الصعوبات التي تواجهها، لا سيما من الناحية المادية، فعلى الرغم من أنها تعيش مع والديها، لكنها لا تزال غير قادرة على إعالة نفسها براتبها.

> *أخبروني للتو «مبروك التثبيت». وكأنه تم تثبيتي في العمل لأتمكن من مغادرة البلاد، هكذا بمنتهى البساطة. سأعمل مدرسة في الخليج، هذا أمر مريع، ويحزنني للغاية، لكن لا يوجد خيار آخر أمامي، فإما الرحيل أو التدريس هنا مع التزام الصمت. ودعني أخبرك هذا، هاجر نصف طلابي بصورة غير شرعية، منهم من ابتلعه البحر (مات) ومنهم من بقي في مراكز الإيواء. (أنثى، 24 عاماً، القيروان)*

ومن اللافت، أن مشاركة واحدة من الكبارية رفضت فكرة العيش في الخارج بسبب ما عاينته في عائلتها:

> *تونس هي وطني، ولي الحق في البقاء فيها. مهما كانت الظروف، أشعر أنني مرتبطة للغاية بها. و لا أعتقد أن الحياة تشبه الجنة في الخارج. لا أحبذ العيش في بلد غير تونس أو تنشئة أبنائي خارجها. يعيش معظم أفراد عائلتي خارج تونس. ويعانون من أزمة هوية صعبة. نتمتع هنا بتعليم مجاني وهو ما يعتبر ميزة كبيرة. كنت سأدرس في كلية أمريكية في الأردن. وكانت التكاليف باهظة للغاية. (أنثى، 23 عاماً، الكبارية)*

مثل غالبية التونسيين، هاجر أفراد من عائلتها. لكن تجربتهم شكلت رادعاً لها بدلاً من كونها أمراً مستحباً. وهو أمر نادراً ما تتم الإشارة إليه. وتفتخر هذه المشاركة بأنها ليست منبهرة بالعيش في الخارج.

الانتقال للعيش في الخارج

أحد الأسئلة التي أثارها نهجنا المتعلق بالبيئة السياسية هو ما إذا كانت هناك رغبة لدى المشاركين والمشاركات في الانفصال عن محيطهم/ن المباشر من خلال الانتقال إلى منطقة أخرى، وإن كانت هذه الرغبة موجودة، فما هي المنطقة التونسية التي من المرجح أن تشبع رغبتهم/ن في التغيير. ولهذا السبب سألنا المشاركين والمشاركات إلى أين سيذهبون إن أتيحت لهم/ن الفرصة، بغض النظر عن الطريقة.

في الكبارية، يكمن الدافع الرئيسي للانتقال في الرغبة في الهرب من حياة العاصمة الحضرية. يرغب معظم المشاركين والمشاركات في الانتقال للعيش في ولايات أكثر هدوءاً (مثل جربة وبنزرت ونابل والكاف) أو حتى إلى بعض القرى التي زاروها خلال إحدى العطلات (مثل قرية عين سلطان). ذكر اثنان من المشاركين فقط الانتقال إلى منطقة أخرى من المدينة، أحدهم إلى وسط المدينة والآخر إلى المروج (أحد أحياء الطبقة الوسطى القريبة).

أما ولاية القيروان، فلا يرغب كثير من المشاركين والمشاركات في الانتقال منها. وبالنسبة للأقلية التي ترغب في الانتقال، فقد ذكروا مدناً ساحلية متوسطة الحجم (مثل المنستير والمهدية). ولا تجتذب مدينتا تونس وسوسة كثيراً من المشاركين والمشاركات، ولم يذكرهما سوى المشاركين والمشاركات الذين لديهم/ن دافع مهني للانتقال إلى هذه المدن: مثل استكمال المشوار الفني أو المشاركة في المجتمع المدني. أخيراً، يجب الإشارة إلى أن كثيراً من المشاركين والمشاركات اشترطوا/ن اصطحاب أفراد عائلاتهم/ن معهم خلال الانتقال، خاصة المشاركين والمشاركات من مدينة حاجب العيون.

لم تكن الرغبة في تغيير الوسط أو المحيط من خلال الانتقال للعيش في منطقة أخرى كبيرة بالقدر الذي كنا نتوقع. إضافةً إلى ذلك، نادراً ما أعرب المشاركون والمشاركات عن رغبتهم/ن في الانتقال إلى ولايات أو أحياء تتمتع بمستويات معيشة أفضل. ويحبذ الشباب والشابات الذين تحدثنا إليهم/ن مغادرة البلاد وليس الانتقال لمنطقة أخرى داخل تونس. وفي هذا السياق، يمكننا القول إن الشباب والشابات مرتبطون بمحيطهم/ن المباشر وأيضاً شبكات التضامن الخاصة بهم/ن (مثل الأسرة والحي والمدينة)، لدرجة تجعلهم/ن غير راغبين/ات في الانتقال إلى منطقة أخرى داخل تونس لاغتنام فرص أفضل، لكنهم/ن أيضاً غير راضيين/ات بالمرة عما يمكن أن يوفره لهم/ن محيطهم/ن أو الوطن عموماً، فهم/ن يرون أن الفرص موجودة خارج تونس، وليس في أي مكان آخر داخلها.

إذا عدنا إلى إطارنا الخاص بالبيئة السياسية، تظهر هذه النتائج أن درجة ارتباط المرء بمنطقته ومحيطه على الرغم من عوزها وسلبياتها، تجعلها مفضلة على النزوح الفردي المدروس إلى المدن أو الأحياء الأكثر ثراءً. ومع ذلك، تُظهر الرغبة في مغادرة البلاد، وهي الأكثر انتشاراً، أن الاستراتيجيات الفردية سائدة على نطاق واسع في هذه الحالة فقط: وهي إذا أردت فرص أفضل، فابحث عنها في بلدان غنية، وليس مدن غنية في بلد فقير.

الاستنتاجات

نرى أن الإدراك الدائم لأهمية التوثيق المباشر لتصورات ووجهات نظر الشباب والشابات التونسيين يعد أمراً لا بد منه. فهم /ن يشكلون فئة ديموغرافية عريضة ذات خصائص متنوعة، بما في ذلك الفوارق الدقيقة الناجمة عن اختلاف الموقع الجغرافي والخلفية الاجتماعية والوضع الاقتصادي والمعتقدات الثقافية ووجهات النظر السياسية.

- **شعبية سعيد في صفوف الشباب:** تصدر الشباب والشابات حملة سعيد، لذا فإننا نرى أنه من المهم التعمق أكثر في مراحل تطور رؤيتهم/ن لسياساته وشخصيته. فبينما قوبلت السياسات البرلمانية بالرفض خلال مرحلة الانتقال الديمقراطي - لذلك رُحب بِحل قيس سعيد الأحادي للبرلمان - إلا أن الوضع الحالي الذي يلفه الغموض يؤدي إلى إحداث تحول متزايد في مستوى شعبيته بين الشباب والشابات. لكن لا يأتي هذا التراجع في شعبيته مدفوعاً بقراراته الاستبدادية، وإنما على الأرجح بسبب إحساس معظم الشباب والشابات بعدم حدوث

أيّ إنجازات. يُظهر هذا أن الديمقراطية ليست موضع تقدير في حد ذاتها. ففي ظل المصاعب الاقتصادية وفقدان الأمل، لن تحظى الديمقراطية بأدنى فرصة ما دامت غير قادرة على توفير أيّ شيء سوى مؤسسات سياسية ديمقراطية. وبالمثل، فإن النظام الاستبدادي الذي لا يملك سوى توفير مؤسسات سياسية لن يحظى بأيّ شعبية، لكن يسهل الإبقاء عليه.

- **حنين بعض الشباب إلى الماضي:** كان لدى المشاركين والمشاركات آمالاً عريضة بعد انتخاب قيس سعيد، خاصة فيما يتعلق بفرص العمل ومحاربة الفساد وتحسين مستوى الخدمات العامة: مثل الرعاية الصحية ووسائل النقل. لكنهم / نأصيبوا بخيبة أمل بسبب عجز الدولة عن تحقيق الاستقرار الاقتصادي وتوفير الأمن والسلامة، وهو ما أدى إلى استحضار نظام بن علي بوصفه عصراً للاستقرار والازدهار. يتصدى جيل الألفية وحده لهذه السردية، لأنه جيل مهتم بالسياسة. يأتي هذا الحنين إلى الماضي مع تصور خيالي للنظام أو الحاكم المثالي، وهو تصور جدير باستكشافه على نحو أعمق. إضافةً إلى ذلك، ربما نحتاج إلى البحث في السبب وراءً ترجمة انعدام الثقة في الأطراف الفاعلة الحالية والمؤسسات - ووصف الماضي البائد بالمثالي - إلى محدودية المشاركة في الحياة العامة وتراجع التفاعل مع الأحزاب السياسية التقليدية. وقد قادنا حدسنا إلى الاعتقاد بأن الشباب والشابات يفضلون الاستقرار الظاهر واختفاء الخصومات التي ابتدعها عهد بن علي ليصدقها الناس. وتزيد قوة هذا التفضيل مع حقيقة أن النظام الحالي لن يتمكن على ما يبدو من تحقيق الاستقرار، وأن النظام السابق كان يعاني من عدم الاستقرار السياسي وأيضاً الاقتصادي.

- **القيم والنزعة الفردية:** ترسم القيم التي يضعها الشباب والشابات في المقدمة نهجاً فردانياً متزايداً للتعامل مع المجال العام. ربما يؤدي تدهور المشهد السياسي وفقدان الأمل في المستقبل إلى تحول الشباب والشابات إلى ميادين يعتقدون أن في إمكان الأفراد إحكام السيطرة عليها - وهو ما ينطبق عليهم أنفسهم/ن - من خلال تحمل المسؤولية والتحلي بالوعي. بالنسبة لغالبية المشاركين والمشاركات، فإن التكاتف المجتمعي لم يعد يمثل غاية مجدية لتعزيز القيم المشتركة. وبرز بدلاً من ذلك تركيز على مسؤولية الفرد التي تتبدى في رغبتهم في مغادرة البلاد كحل أخير لبناء مستقبل لائق.

- **التعليم:** لم يضطلع التعليم بدور كبير في التنشئة الاجتماعية الديمقراطية للشباب والشابات الذين حاورناهم/ن. مع ذلك، كان لا بد أن يكون له دور بارز في مساعدة الجيل القادم على تقبل ماضي تونس الاستبدادي. مثلاً، تُصدر وزارة التربية والتعليم مناهج التاريخ ذاتها كل عام ولا تنوي إعادة النظر في محتواها بعد ثورة 2011. إضافة إلى أن الأسئلة المتعلقة بسبل تعليم الشباب والشابات بعض مراحل التاريخ الحديث والذاكرة الجمعية، التي تعرضت للتجاهل أو التقليل من أهميتها في السابق، لا تزال دون إجابات وحلول مُرضية. تأخر إصلاح النظام التعليمي كثيراً. لكنه ضروري للغاية، إذ لا تزال الذاكرة الجمعية التونسية غامضة لكثير من المشاركين والمشاركات. يمكن أن تتضمن الإصلاحات إعادة النظر في مناهج التاريخ للإقرار بالمظالم المتوارثة من الماضي وتغيير المنهجيات التعليمية السائدة واستبدالها بنهج تشاركي يرتكز على التفكير والتحليل النقديين. وتتمثل إحدى الوسائل الأخرى لتعريف الشباب والشابات على المصطلحات الجديدة الخاصة بالمواطنة الديمقراطية في استحداث برامج تربية وطنية. وخلال هذه العملية، يجب أن تتمحور الإصلاحات حول المتعلمين، ليتحولوا من مجرد متلقين للمناهج الدراسية إلى متعلمين ومتعلمات فاعلين /ات يستخدمون المعرفة لإحداث تغيير اجتماعي وإحراز تقدم فردي.

- **التمييز الذي يتعرض له الشباب:** عبر المشاركون والمشاركات عن ضيقهم/ن من القوالب النمطية السلبية المرتبطة بالمناطق التي ينحدرون منها. تؤثر هذه الوصمة على نواحٍ عديدة ومهمة من حياتهم/ن، مثل التعرض للتمييز في المدرسة أو عند البحث عن وظيفة أو تلقي معاملة متحيزة في الأماكن العامة خارج أحيائهم/ن. وعندما تقترن هذه القوالب النمطية بعدم وجود بنية تحتية عمومية، فإنها تترك آثاراً مدمرة على حياة الشباب والشابات. لهذا يجب أن ينتبه أيّ بحث يتناول الشباب والشابات التونسيين إلى بيئتهم/ن السياسية وكيفية تأثير محيطهم/ن على نظرتهم/ن لأنفسهم/ن والفئة العمرية التي ينتمون لها.

الحواشي

1 Alan France and Steven Threadgold "Youth and Political Economy: Towards a Bourdieusian Approach", *Journal of Youth Studies*, 19:5 (2016), 612-628, DOI: 10.1080/13676261.2015.1098779 (Alan France and Steven Threadgold, "Youth and Political Economy: Towards a Bourdieusian Approach")

2 Voir Fethi Mansouri, "Youth and Political Engagement in Post-Revolution Tunisia", *British Journal of Middle Eastern Studies* 0, no.0 (May 15, 2020): 1–17. https://doi.org/10.108013530194.2020.1765142/, (Fethi Mansouri, "Youth and Political Engagement in Post-Revolution Tunisia") UNDP, "Etude sur 'Les jeunes et la participation électorale en Tunisie: la dualité de l'engagement et de l'abstention dans la participation des jeunes tunisiens aux élections.'" 2020 https://www.tn.undp.org/content/tunisia/fr/home/presscenter/articles/202027/05//sur--les-jeunes-et-la-participation-electorale-en-tunisie--la-du.html and World Bank, "Tunisia - Breaking the Barriers to Youth Inclusion." The World Bank/Center for Mediterranean Integration/National Youth Observatory, 1 November 2014. http://documentos.bancomundial.org/curated/es/201420419856/11//tunisia-breaking-barriers-youth-inclusion.

3 وفاء بلحاج عمر، "نتائج دراسة حول مشاركة النّساءوالشّباب في الحياة العامّة والشّأن المحلّي: 47 % من الشباب غير مهتمين بالحياة السياسية و القضايا المحلية"، https://tn.boell.org/ar/2018/12/19/ntyj-drs-hwl-mshrk-lnwswlshwbb-fy-lhy-lmw-wlshwn-lmhlwy-47-mn-lshbb-gyr-mhtmyn-blhy-lsy-0

4 Aymen Belhadj and Arnaud Kurze, "Whose Justice? Youth, Reconciliation, and the State in Post-Ben Ali Tunisia," *Journal of Human Rights* 20, no. 3 (March 29, 2021): 1–17. https://doi.org/10.108014754835.2020.1868296/

5 Mounir Saidani, "Hybrid, Culture-based, and Youthful: The New Political Commitment of Youth in Post-Revolutionary Tunisia." In S.A. Rennick, ed, *Reassessing Activism and Engagement Among Arab Youth.* London: Transnational Press London. 2022.

6 Mansouri, Fethi. "Youth and Political Engagement in Post-Revolution Tunisia." *British Journal of Middle Eastern Studies* 0, no.0 (May 15, 2020): 1–17. https://doi.org/10.108013530194.2020.1765142/

7 زياد بوسن، محمد إسلام المباركي، «الشباب التونسي والحياة السياسية: صحوة من ركود؟»، مبادرة الإصلاح العربي، 14 كانون الثاني/يناير 2021. https://www.arab-reform.net/ar/publication/%d8%a7%d9%84%d8%b4%d8%a8%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%88%d9%86%d8%b3%d9%8a-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%ad%d9%/8a%d8%a7%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%8a%d8%a7%d8%b3%d9%8a%d8%a9-%d8%b5%d8%ad%d9%88%d8%a9

8 المرجع المذكور سابقاً.

9 رياض جراد، أحد مؤيدي سعيّد في أواخر العشرينيات من عمره.

10 "Tunisie." Parline: plateforme de données ouvertes de l'UIP, 7 Aug. 2023, data.ipu.org/fr/parliament/tn?chamber_id=45420.

11 الاستفتاء الرسمي على الدستور الذي أجراه النظام عبر الإنترنت بين 1 كانون الثاني/يناير 2022 و20 آذار/مارس 2022.

12 الاستشارة الإلكترونية، الحقيقة وراء الأرقام، اكفاضة، 28 نيسان/أبريل 2022، https://inkyfada.com/ar/2022/04/28/%d8%a7%d9%84%d8%a7%d8%b3%d8%aa%d8%b4%d8%a7%d8%b1%d/8%a9-%d8%a3%d8%b1%d9%82%d8%a7%d9%85-%d8%aa%d9%88%d9%86%d8%b3

13 "Législatives 2022 | Participation des jeunes au second tour au centre d'une séance de travail à l'ISIE", La Presse 3 janvier 2023, https://lapresse.tn/147991/legislatives-2022-participation-des-jeunes-au-second-tour-au-centre-dune-seance-de-travail-a-lisie/

14 Cimini, Giulia. “Missing Youth in Tunisia? Implications of Regional Disparities and Center-Periphery Divide.” Project on Middle East Political Science (blog), 13 Novembre, 2019. https://pomeps.org/missing-youth-in-tunisia-implications-of-regional-disparities-and-center-periphery-divide (Giulia Cimini, “Missing Youth in Tunisia?”).

15 Alan France and Steven Threadgold, “Youth and Political Economy: Towards a Bourdieusian Approach”.

16 Kent M. Jennings, Laura Stoker, and Jake Bowers. “Politics across Generations: Family Transmission Reexamined.” *The Journal of Politics* 71, no. 3 (1 Juillet 2009): 782–99. https://doi.org/10.1017/S0022381609090719

17 Alan France and Steven Threadgold, “Youth and Political Economy: Towards a Bourdieusian Approach”.

18 Giulia Cimini, “Missing Youth in Tunisia?” .

19 Melliti Imed Hayet Moussa and Sihem Najar, *Quand Les Jeunes Parlent D’injustice : Expériences Registres Et Mots En Tunisie*, Paris Tunis: L’Harmattan 2018; Observatoire national de la jeunesse. (Melliti Imed Hayet Moussa and Sihem Najar, *Quand Les Jeunes Parlent D’injustice*).

20 المرجع المذكور سابقاً.

21 المرجع المذكور سابقاً.

22 المرجع المذكور سابقاً.

23 الزَوَالِي (جمعها زَاوَالِيَا)، هي كلمة أصلها تركي، وتستعمل في الدارجة التونسية بمعنى فقير.

24 Melliti Imed Hayet Moussa and Sihem Najar, *Quand Les Jeunes Parlent D’injustice*.

25 Challenge Fund For Youth Employment, *Scoping report Tunisia 2022*, Fevrier 2022, disponible ici https://fundforyouthemployment.nl/-pdf

26 World Bank Group, *Tunisia Skills Development for Employment :The Role of Technical and Vocational Education and Training*, Mai 2020, disponible ici https://documents1.worldbank.org/

27 حالة حدية حيث لا يكون الشباب أطفالاً معالين ولا بالغين مستقلين.

28 Marsin Alshamary, “Authoritarian Nostalgia Among Iraqi Youth: Roots And Repercussions,” *War On The Rocks*, 25 Juillet 2018, disponible ici https://warontherocks.com/2018/07/authoritarian-nostalgia-among-iraqi-youth-roots-and-repercussions/ (Marsin Alshamary, Authoritarian Nostalgia Among Iraqi Youth: Roots And Repercussions)

29 Maria Todorova et Zsuzsa Gille, ed. Post-Communist Nostalgia, Berghahn Books,2010.

30 Maria Todorova and Zsuzsa Gille, ed. Post-Communist Nostalgia, Berghahn Books,2010.

31 الوعي (سوف نحلل المصطلح لاحقاً في هذا التقرير).

32 Jean-Philippe Bras, « L’autre Tunisie de Bourguiba : les ombres du Sud » in Michel Camau and Vincent Geisser (dir.). *Habib Bourguiba, la trace et l’héritage*. Paris: Karthala, 2004

33 Lakhal, Malek, “Le manque de citoyenneté en Tunisie : une lecture critique”, MA Thesis, Institut des Etudes Politiques, Paris, 2017..

34 Béatrice Hibou, “La formation asymétrique de l’Etat en Tunisie”, in Irene Bono, Béatrice Hibou, Hamza Meddeb, and Mohamed Tozy, *L’Etat d’injustice au Maghreb : Maroc et Tunisie*. Paris 2015

35 International Alert, *Politics On The Margins In Tunisia : Vulnerable Young People in Douar Hicher and Ettadhamen*, March 2016, available at https://www.international-alert.org/publications/politics-margins-tunisia/ (International Alert, Politics On The Margins In Tunisia)

36 Saerom Han, “Securitization of the Unemployed and Counter-Conductive Resistance in Tunisia,” *International Security*, Security Dialogue, 52(2), 156-173. (Saerom Han, *Securitization of the Unemployed*)

37 Emma C. Murphy (2017) A Political Economy of Youth Policy in Tunisia, New Political Economy, 22:6, 676-691, DOI: 10.1080/13563467.2017.1311848

38 “*Beji: My son won’t inherit… I’m confident in El Sid as the head of government,*” Sabah News, 2016, available at https://www.turess.com/assabahnews/117786

39 Saerom Han, *Securitization of the Unemployed*

40 Aicha Cherif, Nizar Ghayaza, and Ali Elloumi, “Understanding the Sociological Processes and Mechanisms of School Drop-Out in the Sfax Region of Tunisia: Preliminary Study”, Advances in Applied Sociology, Vol.10 No.5, 2020

41 Melliti Imed Hayet Moussa and Sihem Najar, *Quand Les Jeunes Parlent D’injustice.*

42 الشعار الرئيسي لثورة 2010-2011.

43 بالعربية، أمن وأمان، شعار سياسي استخدم في عهد بن علي ولا سيما في أغنية دعائية شهيرة.

44 Larbi Sadiki, “Ben Ali’s Tunisia: Democracy by Non-Democratic Means”, *British Journal of Middle Eastern Studies*, May 2002.

45 العملية المقصودة أو غير المقصودة التي من خلالها تقوم المجتمعات، وخاصة تلك الخارجة من فترات الصراع أو الحكم الاستبدادي أو الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، بقمع ماضيها المؤلم أو تفشل في معالجته.

46 Simon Robins and Paul Gready, ed. *Transitional Justice in Tunisia: Innovations, Continuities, Challenges*, Routledge,2022. (Simon Robins and Paul Gready, *Transitional Justice in Tunisia: Innovations, Continuities, Challenges*)

47 أنشئت هذه الهيئة في أعقاب الثورة التونسية، والغرض منها هو التحقيق في الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي ارتكبتها الدولة التونسية منذ عام 1955. وقد نُشر التقرير النهائي لهيئة الحقيقة والكرامة في عدد خاص من الجريدة الرسمية للجمهورية التونسية في عام 2020.

48 Simon Robins and Paul Gready, *Transitional Justice in Tunisia: Innovations, Continuities, Challenges*

49 Sarah Anna Rennick, “Has Tunisia’s Democracy Failed to Convince its Youth? The Slow-Going of Democratic Socialization”, August 2021, available at https://www.arab-reform.net/publication/has-tunisias-democracy-failed-to-convince-its-youth-the-slow-going-of-democratic-socialization/

50 Zied Boussen, *Youth perceptions of politics in Tunisia: Giving the floor to millennials and Gen Z post-2011*, June 2022, available at https://www.arab-reform.net/publication/tunisia-what-lessons-for-effective-youth-participation-in-politics/

51 Eric Gobe, “Le populisme de Kais Saïed comme cristallisation de la crise du régime parlementaire tunisien,” Hal Open Science, March 2022.

52 Tuniscope. «Néji Jalloul: Mise en place de filières spéciales pour la pédagogie dans les universités.» Tuniscope, 6 Mar. 2018, www.tuniscope.com/ar/article/77676/actualites/tunisie/neji-jalloul-554511

مبادرة الإصلاح العربي

مبادرة الإصلاح العربي مؤسسة بحثية رائدة للبحوث الفكرية المستقلة، تقوم، وبشراكة مع خبراء من المنطقة العربية وخارجها، باقتراح برامج واقعية ومنبثقة عن المنطقة من أجل السعي إلى تحقيق تغيير ديمقراطي وعدالة اجتماعية. تقوم المبادرة بالأبحاث السياسية، وتحليل السياسات، وتقدم منبراً للأصوات المتميّزة وتلتزم في عملها بمبادئ الحرية والتعددية والمساواة بين الجنسين.

contact@arab-reform.net
باريس - بيروت - تونس

جيل ضد التهميش
جمعية «جيل ضد التهميش» هي جمعية اجتماعية تناضل منذ عام 2013 من أجل ضمان الحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمواطنين في أحياء الطبقة العاملة والمناطق المهمشة.

وي ستارت
منظمة WeStart هي منظمة غير حكومية تونسية تأسست في عام 2018 ، وتعمل على موضوعين: التربية المدنية والحقوق الاقتصادية وقابلية التوظيف.